دار الثقافة الجديدة

مواويل النيل المهاجر

شعر

حسن فتح الباب



مواويل النيل المهاجر

الناشر
دار الثقافة الجديدة
٣٢ ش صبرى أبو علم
القاهرة ت : ٧٤٢٨٨٠

الغلاف للفنان
فتحى أحمد

الإخراج الداخلى
محمد عزام

د . محمد حافظ دياب

خِفْتُ حين اختصّنى حسن فتح الباب بكتابة هذه المقدمة !

مبعث الخوف أن المقدمات تجهد أن تقول كل مايعتمل فى فكر المرحلة وعالم الديوان ، لذا تجيىء غالبا بأحد وجهين : وجه يوحى بأنها ممارسة نقدية تحتوى قدرا من التحليل والاضاءة للعمل ، أو آخر يتزاهى فيتخذ طابع الاستشراف المستقبلى لكل مقومات الظاهرة الشعرية .

محنة الوجه الأول أنه لايطول الوقوف على رؤية لها سماتها المنهجية ، واشكالية الثانى أنه يفتح جبهة أعرض لآفاق التجربة وتاريخية الظاهرة .

عبر هذه الواقعة الملتبسة ، لاتنوى هذه المقدمة أن ترتكب محاجّة نقدية ، أو تطبق توجّها تعميميا قد يخنق صوت الابداع فى الديوان ، أو يحمل شبهة سوء ظن بالقارىء خلال ايحاءات مسبقة تحاول بثّها . قصاراها أن تلج عالمه متذوقة ، لا دارسة ، فتطمح أن تتجاوز تفاصيل البداهة ، وجماليات الهندسة ، وملكوت التنظير .

ولكن ، من أين نبدأ مع شاعر جاهر بالمختفى فى دمه ، ولم يشغله هاجس الطواف عن نقطة الدائرة فى عالمه ؟

إن حسن فتح الباب يخرج الينا ، فى هذا الديوان ، عاريا كما نزفته قصيدته . يمزّق طاقيّة الاستخفاء وهالة النقاء المعقّم . يبوح ذاته ، فيصارح قارئه أن نصّه .. شقوق نصّه هنا ، هى عالمه بكل مافيه من فرح

وانكسار وغربة وشجى وغبن وغواية .. الى آخر القائمة التى يكوّنها ويكونها فى آن ، بعد اذ تكتّم مواجيده فى دواوينه السابقة ، ووزّعها على الأمكنة والأسماء والوجوه .

كأن الشعر ، وهو صحيح ، مسؤول بامتيازه وابداعيته أمام الحقيقة .. أمام حضور الأرض والحسّ . كأنه يوشك أن يبقى سبيلها الوحيدة التى يتقصّى فيها : دورة فى التراب .. خفقة فى الدم .. رعشة فى الكلمة ، وانتفاضة فى الحياة ، أو كأنه مطالب بالتوحد فى طقوس النار : الفعل والكتابة .. السيرة والقصيدة .. الحياة والتأمل فى الحياة ، ليعرف كيف يبقيهما منه على مثل الوتين من الوريد .

ولنبدأ الحكاية :

« كان ياما كان ظل لصبىّ
لعبة بين الجياد الفارهة
ودّ لو يعدو ولكن المكان
لم يسع غير السعالى الزاحفة
كل زوجين معا يستبقان
وهو لايملك الا غصنة
تحت ليل العجلات الراجفة .... »

وحزّ فى القلب ، أكثر ، تواجده الشعرى المدجج بالصمت . تجاهله كان أشد وجعاً عليه . يكتب الشعر بطموح وصبر على مدار ثلاثين حولا ، ويكتوى به ، فلماذا غمضت عنه أعين النقاد ؟

يجيب الشاعر :

« لأنك امتلكت روعة اليقين لم تكن
قدّ يسهم
لأنك الملهَم سر الخلق سحر الشحنة المفجّرة

باعوك للأشباح
مغللا مرتهنا ممّلكا على الأطياف
من ذا رآك أمس من نقّادنا القياصره ؟
من ذا يراك اليوم من كهّاننا السماسرة ؟ ... »

أنساه احساسه بالغبن أن تجاهلهم يمكن أن يتيح له مجال الابداع الموفى بأغراضه . أعرف أنه تألم .. أنه لايتقن الشكوى . ليته فى وقفة عزّه يدرى أن هذا التجاهل لم يسمح لهم باستلابه ، كى يدفع للقياصرة الضريبة ، والفائدة للسماسرة .

وراح زمان كان الوطن يلفّ وجهه بشمْلَة الوعد الجميل . كان . لكنه الآن يرتسم تضاعيف من العتْمة تتسع هوّتها ، فتفصل بين الحلم المصرى وواقعه ، ويغذّيها انتفاء الجدل الحى بين الثقافة والعقل ، واحساس ضاجّ بالعائق ، وافتقاد لحسّ التقدم ، وغياب للمشروع القومى ، واسباغ مقنّن لطبائع الاستبداد ، وتكريس للتبعية ، ولعلعة للافتات الانفتاح على واجهات الطموح الخصىّ والمصالح البائرة ، ناهينا عن ضجيج صغار القامة المفسد لخميرة الابداع .

يعرف الشاعر وجوههم واحدا واحدا : السماسرة ، الجبناء ، قطاع الطريق ، البغاة ، الوالغوان الغواة ، ذئاب الموانى ، الراتعون المطايا ، العازفون ، الحرس التترى ، القتلة ، المردة ، المرجئة ، الفجرة ، المرتزقة ، السناجق ، نسّاك عرش الافك ، المارقون .. وكلهم رموز مختلفة لقوى استلابية واحدة ، ممن ألفت تزوير الحياة وتزييف عناوينها .

لقد اصطلى أحقادهم خلال كل الفصول ، لكن مايحيّره أنهم بعض من (أبناء جلدته) ، أنه منهم ، وهم منه :

« لست بالغازى الصليبىّ

ولكن الذى أحكم أغلالى
(صبيح) .... »

ويخرج الشاعر من قريته (مصر) مرتحلا وحزينا الى بلاد الله ، ليبحث فيها عن علامة يحّرض بها مياه النيل كى يجرى النهر ، وتحركه خطوط الأرض فتباعد مابين الآفاق :

« تهم بى المدن الشرقيّة والغربيّة ... »
« أسافر فى المدن المطمئنة بالخوف ... »
« أطارَد بين البكور وبين الرواح ... »
« أصادَر بين الرواح وبين البكور ... »

هُوَ ذا يقتسم إسراءه ، حين توغل به المدائن وتضيق به المطارات والقطارات والمرافىء ، ويقفز فى المدى الخالى ، فتجتاحه ذكرى الوطن ، وتجرى الكلمات على هضبات القلب مجرى مسيل الدمع فى العيون ، فيراوده الموّال :

« مسكون بالنجم السارى
والفجر النائى
مضفور بالتاج الشوك
دامٍ بالعشق
ناىَ نيلىّ
يستخفى فيه الحُبّ
وينفجر القلب ... »

وهناك فى مدائن الغربة يلتقى سماسرة وقياصرة آخرين ، زحمت أنفه رائحة النفط تنشع من مسامّ جلودهم :

« أطوّف بين القلوب الخواء المضاءات
بالنفط والشبق الأسود المتوارى

وراء البطون الملاء التى انتفخت
بالحوانيت والبنك والإفك
بين الموانى المهرّبة العَرَق المستباح النزيف
الى (علب الليل) أو (راجمات الأوّاكس)
الى الرّفد والرّدف فى مهرجان العبيد
الى الغرف المخملية بين رفوف البوادى
على الزئبق اللؤلؤى البحيرات
والناطحات الأراجيح لليعربىّ الملثّم
فوق الجوارى القوارير
فى ردهات الفنادق .... »

وينفجر الغضب فى قلبه كما الزلزلة ، مع توقيع كامب ديفيد :

« يوم أغرى المهرّجَ كهّانُه بسلام القبور
فاستوى فوق رمح العبور
ثم أدى صلاة الفدا لولى الجحيم
مغمدا فى الدم المستجير صراخ الضحيّة
وفرزق المجون .... »

ويغنّى حين تتناثر أشلاء سناء محيدلى على أرض الفداء فى جنوب لبنان ؛ معايراً بها حكام الزمان العربى المالح :

« من ياعروس الجنوب ؟
من ذا الذى يحفر فينا قَبْرَهْ ؟
يبّدلنا بكل ماشدناه من خواء :
أسيافنا .. سجوننا العراةْ
رعاتنا الشياه
أشداقنا الممتلئةْ
جلودنا الموشومة المحنّطةْ

بساطنا الأحمر فى المطار
والطائرات الصدئة ... »

لايعوزنا مزيد من الأمثلة التى قد تبدو فى قوانين تقوّل (نقادنا القياصرة) انفعالا لفظيا يأخذ قيمته من الانتماء للحدث ، ويقلّصه فى لغة عاكسه ، لأننا — فى مقابل — سنجد الرد على ادراك دارج يتغيبى حبر ذائقة انشائية لاتطول لغة الدم فى شرايين الحدث .

وذات لحظة ، يراود شاعرنا نفسه عن المصير :

« طوّفت ماطوّفت هل رأيت
غير انكسار الوتر الرخيم ؟ ... »

فهل تراه استسلم ؟ أم ترى بقى منه مايضارع الحياة فى معنى الحضور ؟

ها أن الوتر قد ينكسر ، لكن صوته الرخيم لم يزل عصيًا ، وبهيًا .

قلت أن هذه المقدمة تطمح أن تتجاوز جماليات الهندسة وملكوت التنظير ، لكن وسواس (الصّنعة) يتسلطن . فليس بالمقدور أن نكتفى بتحليل وتفسير الدلالة العامة للديوان ، دون أن نشفعها بالإبانة عن تركيب هذه الدلالة . فما هى إذن بنود الشاعر ومسوّغاته ؟

ان الديوان يواجهنا ، بنحو أو بآخر ، عبر مستويات ثلاثة أو أربعة من التمثل .. تتفارد فيه أو تتداخل .

تبادهنا ابتداء .. دلالته المعجمية ، مادامت القصيدة فعلا يعبّر عن ذاته داخل اللغة . وهنا نجد أنه فى المستطاع رصد ضمير المتكلم الذى يفترش مساحة النص فى الغالب ، باعتباره أكثر الدلالات ايحاء بما يفضى ببوح الشاعر الى مداه .

فى مرات نراه واضحا : « **أنا المشترى — أنا الضجر — أنا الاغتيال الجريمة — أنا جناحك اليتيم — وأنا مطر راجف — وأنا واقف — أنا الذى ما أبحرت سفينتى — أنا الشفيع — أنا الصريع** ... »

وفى مرات أخرى نجده مواربا : « **عائد — غارق — أسافر — أرتد — أعود — لست أبالى — تنازعنى — أطارد — أصادر — تساومنى — يصادرنى** ... »

فى مرات ثالثة يتباطأ ، وفى أخرى يتسارع ... فى أحيان يقف على مطلع الفقرة ، فى أخرى ينطوى وسطها ، ليظل فى كل أحواله عاملا على اطلاق التعبير وتحريره ، وممارسا للعبة البوح والاعتراف كذلك . وبقدر مايتحول الحضور المتميز للذات الى سيطرة كاملة لضمير المتكلم ، بقدر ماتكبر مفردة الوطن لتضحى دالة على مواضع الاستحضار الشعرى : **وطن الألفة فى طهران ، وطن الانتماء فى الصعيد ، وطن الغربة فى بودابست وطهران وباريس ، وطن الجرح فى صبرا وصيدا والناصرة ، وطن المقهورين فى صحارى الامام ورملة بولاق ، وطن العمر الجميل فى رشيد ودمياط وبورسعيد ، أو وطن الحلم فى القاهرة** .. فالطريق الى الوطن شأن الشعر نفسه : نسيج لاينتهى من فضاء الذات والأسئلة .. من الأشياء التى تتسمى بدلالات الفصل والوصل بين فيزياء المكان وميتافيزياه المجازى فى آن .

والشاعر يستثمر — فى أحيان — ألفاظا ذات ايحاء شعبى : (**المجاريح — العلالى — المشربية — التحاريق** ...) ، تتحدّر من الحساسية الثقافية العامة بعيدا عن (أجروميتها) ، فينثرها كوقفات للتذكار ، أو كصوى يسرج بها فتيل الوطن فى ليل الترحال ، لتؤكد له النعت والهوّية .

وحين نتصاعد مع الديوان الى مستوى دلالته الصوتية ، تبرز ظاهرة التتابعات الصوتية بشكل لافت : (**الرعاة النعاة البغاة — الرحيل الرحيق**

ـــ الشقاء شفاء ـــ الطريق الحريق ـــ العتاة العناة ـــ القرار الفرار ـــ الجنين الجبين ـــ الحُبّ والحَبّ ـــ الرعاع الجياع ـــ الليل والويل ـــ الزفاف والضفاف والطواف ـــ وتر أم وتد ـــ ياابنتى التى ـــ جمرة مرّة ـــ حان عان ـــ للضلوع الدروع ـــ للهوى .. للهدى ـــ النضال النصال ـــ الرفد والردف ...)

التتابع الصوتى هنا يقوم بما يشبه القوافى والايقاعات الداخلية ، بفعل استبدال فونيم مكان آخر ، كى يتولد الفعل الشعرى من تضافر الفونيمات أو تنافرها ، فى مطابقة بين الحسى والمعنوى (**الرحيق الرحيل ـــ الرعاع الجياع ـــ الليل والويل** ...) ، أو بين المجهور والمهموس .

أما على المستوى الصرفى ، فمن الملاحظ ولع الشاعر بخاصية التضعيف ، طلبا لموسيقية المفردة الحاصلة من تكرار الصوت مرتين ، وهربا من الزحّاف ، تشهد بذلك ـــ على سبيل المثال ـــ قصيدته (**الجذور**) التى تحوى (١٣٠) مفردة مضعّفة .

كذلك يلجأ الشاعر الى تسكين الروى فى نهاية الفقرات الشعرية ، بدلا من اخضاعها لحركتها الموضعية ، استنادا الى أن ثمة قرائن أخرى غير العلامة الاعرابية تؤمن سياقه الشعرى من اللبس .

ولعل السبب فى هذا كامن فى رغبة خلق لغة ايحائية تحاكى غيض الحدث واحرازيته وفيضه .

من هنا ، لم يختر الشاعر بحرا سريعا أو خببا أو متقاربا ، بل انتقى من الأبحر بحسب ماجرى به الأسلوب الأدائى لايجاد الموسيقى الملائمة ، قرارا وجوابا ، مع تنويع الايقاع النفسى وتتابعه . مثال ذلك :

« وأنت يراود نجمُك نسلَ الغزاة
ومغفرة الأنبياء
ويجهر بالضحك الأصفر المستعار

ليخفىَ زرق النيوب
وخائنة الأعين الجارحات
ويتقل بالنزف أزكى محيّيك
بالزيف يرجم ماطهّرتهٌ
بحار العذابات
واحتضنته الدروب الحرائقُ
بين أغانى الدماء .... »

واذ نصل الى مستوى الدلالة الأسلوبية ، نجد الشاعر يعتمد تقنيات ثلاثا ، هى التكرار ، والتضمين ، والترميز .

والتكرار كأسلوب بيانى يحتوى على قابليات تعبيرية ، شرط ألا يتخذ بسبب ضيق المعجم ، أو اتكاء لحكم القافية . انه الحاح على اعادة هيئة التعبير اتساقا مع مدى مكتنزات الشاعر العاطفية :

« جناحك المسكون بالفردوس والجحيم
جناحك الرحيم
جناحك الرجيم ... »
« نمضى معا
نبقى معا ... »
« أنت الحزوان
أنت اليدان
أنت الشواء ... »

ويتبدى التضمين فى اقامة علاقة مع نصوص أخرى من التراث ، لخلق معادل لبعض الأبعاد الفكرية والشعورية ، اما باستخدام النص القرآنى بتمام عبارته : (ادخلوها بسلام آمنين — جابو الصخر بالواد — والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، اضافة الى

بعض من التراث الشعرى) ، أو باستيحائه دبيبا يتنمّل فى بدن القصيدة : (هزّى اليك بجذع الوليد ...) .

والشاعر يلح على حضور رموز بعينها تتلبس مواجيده وتتقمص نوازعه . ولأن الرمز لاينهض بهذه المهمة مالم يكن أسطورة تراثية شعبية قائمة فى ضمير الأمة ، فقد اختار آمون ، وعمرو ، وطارق ، وايزيس ، وبهية ، والبتول ، والطاهرة ، والحسين ، وحوريس ، وأوزير ، والراعى ، وعلى بن أبى طالب ، وقطر الندى ... يدفىء بهم حلمه ، ويحس عبرهم بتواصل الذاكرة .

ليست ، على أية حال ، تفاصيل مستويات الدلالة المعجمية أو الصوتية أو الصرفية أو الأسلوبية هى ماتعنينا هنا كثيرا ، إلا بالقدر الذى تمتلك فيه مسوغاتها لاضاءة الرؤية واستكشاف رحلة الشاعر .

هل تراه كان يدرى ، مذ تلظّى بلهب الشعر واشتعل ببروقه ، أن الإمساك بالغصن متاهة ؟

لقد ضرّجته الخيبات مرارا « **يصنّفك الأشقياء مع الأشقياء** ... » ، لكنه أبدا كان ينتصر على أساه : ويدمن أحلامه فى توكيد قيم الحرية والعدل ، والمشاركة فى تغيير الحياة وتجديدها ، كى يعبق التراث ، ويملك النيل سريانه ، ويستطيل البيرق ، ويومض النجم ، حين تنقشع الغلالة من على وجه القمر .

هذا شاعر يسكنه العشق الكبير : الوطن والشعر ، اختارهما فتنة وترياقا وصبوة لاعجة ، وبوحا مشروعا وواعيا أعلن عن حاجته أن يوجد أمام عينيه : « **عليل أنا .. علّتى صحة البوح** ... »

من هنا يرتدى نص حسن فتح الباب لون الفرحة ، وطعم الوجع ، وشرف المواطن وأخلاقية الفارس .

الجـذور

تُلملِمُ أوراقَها النائحاتِ على عِلَّتى
وردةٌ كنتُ فى النيل خبَّأتُها
والنجومُ التى شَخَصتْ فى خريفِ المطار
إلى حَيِّنا .. ودَّعَتْنا على نهرنا الغارق المستبد
عليلٌ أنا .. عِلَّتى صِحَّةُ البوح
إنَّ الطريقَ الرحيلَ عن النيلِ
يُبْلِغُنا مأمناً .. كفناً للمُسَجَّى القتيلِ
على مائِهِ .. فى انتظارِ القيامةِ
تجمعُ أشلاؤُه بعضَها
يبحثُ الجذرُ عن ساقِهِ
الساقُ تبحثُ عن جذرِها
والمطارُ الخريفُ النجومُ الوداعُ تُلملِمُ أوراقها
لِنحملَ زادَ المعادِ وآخرة الرَّفضِ
أولى النهاياتِ للمُجْتَلِى والبدايات للمُنتمِى

— • —

والمُصَلُّونَ للغيثِ بينَ الفيافى رفاقُ المنافى

يقولونَ يومَ التّلاقى المنافى القرابينُ
إنَّ المنافِى الشقاءَ شِفاءٌ
إذا عَشقَتْنا شفاهُ الجراح
فلا تنأ عنَّا
(أخى أنتَ من لحمى دماؤُكَ من دمى
فإن كنتُ مأكولا فكُنْ خيرَ آكلٍ
وإلّا فأدركْنى ولَمَّا أُمَزَّقِ)

— • —

يراودكَ السَّابِقون الأُلَى أنكَرُونا
لَأنَّا عشقْنا وميضَ الرمادِ القديم
وطِيبَ المساءِ على بيتنا المشرقىّ
وعينينِ فى المشربيَّةِ أُغنيتينِ
لطفلٍ فقيرٍ .. عشقتُ حصَى قَريتى
قبل أن أتعلَّقَ شُمَّ الصُّخورِ ويبهَرَنى النجمُ
كيف تَخطَّى الغيوبَ بمِطرقةٍ
لايراها العبيدُ الجوارى .. وفأسٍ
عرفتُ بها يدَ أمى .. أبى
عَرَقَ الأرض .. جِلْدَ الضحايا
وآنستُ فى ظلِّ مِنجلها
نورَ عينى ونبضَ الحنايا

ولستُ ببائعِهم ماحَييتُ ولكنْ
لك العشقُ ياوطنى أيُّها الأبَدُ المُتَحوِّل
بالموتِ فينا خلايا
وبالنيل أنداءَ جرحٍ على وجنتَىْ بائع الفُلِّ
طارَ على غيمةٍ من ضلوعِ الأزِقَّةِ
بين « صحَارَى الإمامِ » و « رَمْلِة بُولاقَ »
ــ آهِ مَشاعلَ كانتْ وتَبْقَى وَقُودا ــ
إلى الأُمْسِياتِ المرايا على الشاطِىء الاخرِ المخملىَ
لكَ العشقُ يا أيُّها الوطنُ المتجولُ
بالليل مركبةً تحتَ عُمَّال « أسْيوطَ »
ــ آهِ رفيقا لكمْ كنتُ فى زمنِ الحقِّ والزَّيف
حَرْبا على الحَرْفِ كانَ الجُنودُ
رفيقا لكمْ كنتُ فى وطَنِ الرَّاتعينَ المطَايا
رفيقا لكم زمنَ العازفينَ البغَايا
وزادُ « التراحيلِ » بين « البرَارِى » و « أسوانَ »
حُمْر المواويلِ فى النيلِ
شمسٌ وحلمُ صبايا .. رؤوسٌ تسانِدُها
موجتانِ .. تُضاجعها سنبلاتٌ ذَوتْ
قمرٌ فى المحاقِ .. المنايا لَهُمْ
والأمانى لكُهَّانِ « طِيبَةَ »

والبقراتُ السِّمانُ « لآمونَ »
« فرعونُ » فوقَ الأضاحى
أيا وطنَ البسطِ والقبضِ والوجدِ والفيضِ
ياوطنَ الحُلمِ والرَّفضِ
يا أيُّها الشجنُ القاهرُ المستَحَبُّ الذى
يَسْكُنُ النَّفْىَ يسكُنُنى عشقُكَ المُستَمِيت

— • —

يراودكَ العصبةُ الحافظونَ كتابَ التراتيلِ
لِلمُلْكِ بين الرُّصافةَ والجسرِ
والراكبونَ على الموجِ يحتضنونَ البيارقَ
تحت سُيوفِ الَأهِلَّةِ والحافظونَ فُروجَ البغاةِ
فروضَ القبيلةِ .. مَنْ رَجمُونا
لَأنَّا رَجَمْنا لهم صَنَماً
واجترحْنا الخطايا لأنَّا رَحِمنا لنا نُطَفا
أيُّها الوالغونَ الغُواةُ ذئابَ الموانى
على النهرِ أصفى بَنِينا وأحلى البناتِ
تُباع .. تَجوعُ .. وتُلقى لكم جثثا
أو حبالا عليها تُريحونَ أو تَسرحونَ
المراعى لكمْ والمراثى لنا
أيُّها المُنْتَهُونَ الغُثاءُ الأخيرُ

المناف أَحَبُّ إلينا
تُضيء السوادَ على « السامريِّ »
فتسحقهُ قَدَمُ الميِّتينَ على بابِهِ
والمعاوِلُ أيدى السنين العِجاف
وآخرة التِّيهِ بين المزامير و « السامريِّ »
وأُبَّهةِ الحرسِ الملكىِّ المُطاع
فيومٌ لِزينته لايرانا
ويومٌ لوشم معاصِمِنا لانراهُ
فهاتِ كتابَكَ إقرأْ كِتابةَ موتاكَ
أسراكَ والشهداء الأُلى بايعوكَ
صلاةً لِمِصرَ .. لِبيَّارةٍ لم تُساومْ
وأنت لربِّ الجحيمِ صلاتُكَ
عادوا أُسارَى عُبورِكَ خاضُوهُ
فوقَ دمائِكَ عامَ المجاعةِ والخوفِ والإفْكِ
والنيلُ وَعْدُ المريدينَ والشُّهداءِ
كَفَى بِكَ فيهم عليكَ شهيدا

— • —

وطالتْ علينا ليالى « التحّاريق » فى النيلِ
مَلّت غناها المجاريحُ
تحت حصادِ الهزيعِ الأخيرِ من النأْيِ

والتَّعَبِ المُشْتَهَى والرعُّاة النّعاة البُغاة
تُدَلِّلنا فى الجحيمِ المنافى تراوِدُنا بالنعيمِ
أفِقْ ياغريبَ الديارِ مدينتُنا تستباحُ
وماذا تساوى الأغانى ؟ المَقاهِى عليكَ
تُغَلِّق أبوابَها بالنُّيونِ
أفِقْ ياكليلَ العيونِ
المَنافى الغريبةُ بين نُهودِ الأفاعى

ومِطْرقةِ العشقِ والبغضِ .. أينَ تُوَلِّى جبينَكَ ؟
إن الطريقَ الرحيلَ الرحيق السماديرِ
كلُّ بكورٍ رواحٌ وكلُّ عشاءٍ أخيرٌ
عليلٌ أنا .. والعيونُ تطاردُ
نظرتَكَ المُرَّةَ الصّلبةَ انقسمتْ مَوْجتينِ
شعاعٌ تَرَجَّل بينَ لفائِف تَبْغِ الكئوس التى
فرغْت والمتاجرُ صُفَّتْ لبيعِكَ

للمُجْتَنِيكَ غداً .. والحناجرُ جَفَّتْ
شعاعٌ هناكَ على النِّيلِ ألقى المَراسِيَ
أغْفَى .. ترنَّحَ .. ثم تَوَحَّدَ بالطَّمىِ
صاحَ أعوُد فعادَ مُدَمىًّ بغيرِ شفاهٍ
وسار كليلا وأحْبطَهُ ندمُ العائدينَ
فثارَ أعُودُ فأحْرقت السُّفْنُ قُبطانَها

الريحُ تَدفعُ قُرصانَها
النيلُ أخْفَى مفاتيحَهُ جاءَ من مائِهِ هارباً
طائرُ الحُلْم يَشْدُو
الطريقُ الحريقُ الرحيلُ عن النيلِ
يُورِدُنا حَتْفَنَا ثم يُبْلِغُنا
ـــ فوقَ جِسْرٍ من النّارِ والرَّجْمِ للمُصْطَلِى ـــ
حَيِنًا .. عِلَّتِى صِحَّةُ البَوْحِ يانيلَنا
ياذراعَ العُتاةِ العُناةِ انتفضْ هَرَماً
فوقَ أجسادِنا كُنْ توابيتَ أحزانِنا
كنْ براكينَ .. إنَّ البراكينَ تغفُو سِنِينَ
لِتَصْحُو أعاصيرَ تَمْحَقُ بؤس القرى
كنْ لنا جَبَلًا عاصِماً أيُّها النيلُ
أمْ أنتَ طوفانُنا ؟ كنْ لنا بَيْدرا عاصفاً

أيها النِّيلُ لا لاتجفّ .. أنا المُشترِى
قطرةً قطرةً بالشرايينِ
والعَرَقِ الأسودِ المُسْتَرَقِّ
أنا المشترى أيُّها النيلُ
لا تَرْوِ أبناءَك الغائبينَ
كئوسَ رضاكَ الأخيرةَ همْ عائِدونْ

ـ • ـ

أنا المشترى بدمائى دماً .. وردةً
فوقَ وجْنةِ هذا الصغيرِ النَّحيلِ الذى
يسرقُ الشمسَ والخبزَ يسرقُ مِنِّى الدموع
ومقبرةً خلفَ هذى « النُّجوع »
شموعى انفجارُ المجاعةِ والسُّلِّ بينَ الضلوع
دَماً راعفاً فى المتارِيس يانهرَنا
لاتجفّ .. ربيعىُ قيامُ التُّرابِ الحزين
الترابِ العتيقِ الذى لايَخُون
فكنْ قاتلى أو دَمِى فى الحياةِ أو الموتِ
ماشِئْتَ لكنْ لِتَحْفُرْ سريراً مِنَ الطَّمْيِ لى
مَوْجةً من لَدُنْكَ ولا تَسْقِنِى
ضُمَّنى كُنْ ضُلُوعى أُناجيكَ كُنْ سَكَنى
ياشراعَ المساكِين والماردينَ النُّسورِ الحمائِمِ
يانيلُ لا لايَنَلْ مِنْك نَسْلُ المَماليكِ
والمارِقينَ غَداً .. لاتبَعْهُمْ بثَدْيَيْكَ
لا لاتَكُنْ للنِّفاياتِ مَبْغَى

— • —

سلاماً لِقافِلَةِ المُتْعَبِينَ على القاع
والنَّخُل لاطَلْعَ جاثٍ لِأَمْرِ الشَّقِىِّ
عُراةً من الليِّلِ .. من طَلَلٍ فى الجَحِيمِ

يَجيئونَ .. يَأْتُوننى بالنجُومِ التى
تَسْبِقُ الفجرَ آتِى إليهِمْ بنيرانِ كلِّ الحُقولِ
وغُرْسٍ دمى والكُروم
وتَذْكارِ مَنْ يَجْمَعُ الشاردين
يبيع السُّكون القَرارَ السُّكونَ الفِرارَ
بعاصفةٍ من جنونٍ
لِيَخْترِقَ المُستحيلْ

— • —

[تقولُ الَّتِى مِنْ بيتِها خَفَّ مَرْكَبى
عزيزٌ علينا أن نَراكَ تَسِيرُ
أمَا دون مصرٍ للغِنَى مُتَطَلَّبٌ
بَلَى .. إنَّ أسبابَ الغِنَى لَكَثِيرُ !!]
هُنا مَهبِطُ العارفينَ حَبِيبى
ومَوْئلُ كُلِّ الضَّحايا الصَّحابةِ وابنِ السَّبيل
وحُبُّكِ أحْلَى بُيوتِ العَذاباتِ أنْدى
صَلِيبٍ .. وأبْهَى النِّضَالِ النِّصال
عليها يَنامُ الرَّفِيقُ الطَّرِيد
وتَصْحو مقابرُنا فى القُرُون
على ضَجَّةِ الغَائبينَ الحُضُور
وسَكْرةِ خُوَّانِكِ المُتْرَفِينْ

[والأرضُ جميعا قَبْضَتُهُ يومَ القِيامَةِ
والسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيَمِينِهْ]
ودُونَ الَّتِى يعشقُ القَلْبُ
دُونَ الَّتِى لاتموتُ الَّتِى
لاتُبَاعُ ولا تُشْتَرى ألفُ مِيل
وأنتِ الطَّرِيقُ الرَّحيلُ إلى النِّيلِ
يامُشْتَهَى الأَشقِياءِ الأُلى لم يَضِلُّوا
وما اخْتَلَجَتْ دَمْعةٌ حُرَّةٌ فى الصُّدور
ولا اخْتَرقتْ شَهْقَةٌ مُرَّةٌ
قَلْبَ هذى الحِجارِ

فأَرْخِى علينا سُدُولَكِ آنَ أوانُ اليَقِين
وهُزِّى إليكِ الجنينَ الجبينَ النَّضِير

ولا تُسْلِميه
نَمُدّ إليكِ السَّواعدَ
مِنْ ماردِينَ عُرَاةٍ قَرابينَ لِلنِّيل
لِابْنِ الإلهِ غُزاة ملايينَ

تَجْمَعُ أشلاؤُهم بعضَها
يَبْحَثُ الفَرْعُ عن جِذْرِهِ
الجِذْر يَبْحَثُ عن فَرْعِهِ يابْنَةَ النِّيلِ

هُزِّى إليكِ بجِذْعِ الوَلِيد
ولا تَحْرِمِى الفَرْعَ لَذَّةَ لَثْمِ الجُذُور

وهران (الجزائر) — أول مايو ١٩٨٢

الصبـــار

نُتوِّجُ عرشَ مطاراتِنا العربيةِ
بالألَق الدَّمَوِىّ
فتغدو تماثيلَ قار
ونُمْسِى حقائبَ عار
نُعانِقُ أشباحَنا أو نحاوِرُها
أو نُصَلِّى لأشباهِنا أو نُداوِرُها
تحتَ سَقْفِ الجَحِيم
فلا خَيْمة مِنْ وَلِىّ
ولا غَيْمة مِنْ نَبِىّ
تُفَجِّرُ موعِدَنا المُنْتَظر
ولا سَكَرات الشَّياطِينِ
بينَ السمواتِ والطِّينِ
تُرجِعُ ذِكْرَى سُقُوط المَطَرْ

— • —

أَشَلُّ وعُكّازتى بُؤسُ أختامِهِمْ
فى المطاراتِ فوق جوازِ السَّفَرْ

وأبْتَرُ بين المَسافاتِ مُحْرُوقةً
والمآذن مَصْلوبةً والمصَافِى
تَصُبُّ على الفُقراءِ شُذُورا مِنَ الزَّيْتِ
والمقتِ بين خِيامِ التَّتَرْ
صَلاة على الغائبِ المُحْتَضرْ
زَكاة عن الغائطِ المُنْهَمِرْ

— • —

يُصَنِّفُكَ اَلأشْقِياءُ مَعَ اَلأشْقِياء
مِنَ النِّيلِ حَتَّى جِدارِ الجَحِيم
مِنَ النِّيلِ حَتَّى شَظايا القَمرْ
عَليلٌ أنا عِلَّتِى صِحَّةُ البَوْحِ والصَّمتِ
والجُرحِ والمقتِ ياوَطنى مُسْتَهامٌ بِوَادِيكَ
يَسْكُنُنى عِشْقُه فى الزَّمانِ الشَّجِىّ
لِيَقْتُلَنى فى زمانِ الخَلِيِّينَ
بين النَعيبِ الكئيبِ وبينَ المَرايا
عليلٌ أنا الأجنبىّ المُرِيب
على أرضِ (طيبةَ) فى بيتِ (عَمْرو)
ومِطرقَةٌ (طارقٌ) فوقَ طَوْقِ النجّاه

— • —

أُطوِّفُ بين القلوبِ الخَواءِ المُضاءَاتِ

بِالنَّفْطِ والشَّبَقِ الأَسْودِ المُتوارِى
وراءَ البطونِ المِلاءِ التى انْتَفخَتْ
بالحوانيتِ والبنْكِ والإِفْكِ
بين الموانى المُهَرَّبَةِ العَرَقِ المُستباحِ النَّزيف
إلى (عُلَبِ اللَّيلِ) أو (راجماتِ الْأُواكس)
إلى الرِّفْدِ والرِّدْفِ فى مِهْرَجانِ العَبيد
إلى الغُرَفِ المَخْمَليَّةِ بين رُفوفِ البَوادىِ
على الزِّئبقِ اللُّؤْلُؤِىِّ البُحَيْرات
والنَّاطحاتِ الأَراجيحِ لِلْيَعْرُبِىِّ المُلَثَّمِ
فوقَ الجوارى القَوارِيرِ
فى رَدَهاتِ الفَنادقِ
فى (الشَّارعِ الخامِس) المُرْتَجَى
لِذَلكِّ المتاريسِ يومَ تقومُ القيامَةُ
خلفَ الرُّبوعِ الخَوالى
وبينَ المطاراتِ والصَّوْمعاتِ الهَشيِمِ
على القاعِ والنَّخْلُ لاطَلْعَ
لابنِ الفَقِير
ولا أَمْن إلا لِمُغْتَصِبِ الأَمْنِ
لا أَمْنَ إلا لمُغْتَصِبِ الحَبِّ والحُبِّ
مِنْ أينَ هذى النُّفاياتُ

تَفْتَرِشُ الرُّحْبَ
هذى الغِوَاياتُ
فوقَ طُيوبِ المدافِنِ
تحتَ صَليبِ المَدَاخِنِ
تَفْتَرِس القلَب حتى النُّخَاع
تَمُجُّ سُمومَ الأفَاعِى
بصَدْرِ الرِّعاع الجِياع
وتُوقِدُ زيتَ الثُّرَيَّاتِ
بالحَىِّ مَيْتاً
وبالمَيْتِ حَياً
ولا حَرْبَ
مِنْ أينَ هذى النِّفاياتُ
تَفْتَرِشُ الرُّحْبَ ؟
مِنْ أينَ جَاءَتْ ؟
وأينَ يَقُومُ متى يُبْعَثُونَ الضَّحَايا ؟

— • —

تَهُمُّ بِىَ المُدُنُ المَشْرِقِيَّةُ والمَغْرِبِيَّةُ
حَتَّى أُحاوِرَها .. أَسْتَجِيرَ بها
أَوْ أُضاجِعَها خِلْسَةً
أو عَلانِيَةً

فى الزّمانِ الغَرُورِ
فتَمَلأُ مِنّى الجِرارَ العَقِيمَةَ
تُفرِغنى مِنْ شُجونى الحِرَارِ
وتَمْلأنى بالدَّمِ المُسْتَعار

— • —

أُسافرُ فيها فيَعْتادُنى القَيْحُ
أَرْتدُّ ذُعراً
أعودُ إلى النَّبْعِ
لا نَبْعَ
تَلْقُفُنِى فى الحُضُورِ الغِيابِ
الغيابِ الحضورِ المداراتُ
كُلّ مَدارٍ فَراغٌ
وكُل فَراغٍ بَقايا المُراوَدَةِ المُسْتَحِيلةِ
حتى أَهُمَّ بها
أو أهِيمَ
فأَشْهَد برهانَ رَبِّى الذى غَيَّبَتْهُ
أهِيم بِهِ
يَحْتَوينى الدُّوار

— • —

أُسَافرُ فيها فيَعتادُنى القَيْحُ

لستُ أُبالى الذى يَصْنَعُ الليلُ بى
فى بُروجِ المَماليكِ
ماعادَ لى عُنُقٌ صَالِحٌ
مِعْصَمٌ .. قَدَمٌ تَستَجِيبُ
لِوَشمِ الصَّعاليكِ
زِينَةِ فِرْعَوْنهم
أو لأعراسِ أهْلِ القُرون
ولكنه القَيْحُ يَعتادُنى
حين تَلْثَمُنى أو تُعانقُ
أرتَدُّ ذُعراً
وما بِىَ من خِيفةٍ غيرَ أنّى
أُحِبُّكِ أنتِ
فأرْتَدُّ ذُعراً إليكِ
فتأبَيْنَ حتّى وَداعى
لَأنّى أبَيْتُ عِناقَ الهوانينِ
هَمّى وهَمّكِ
جوعىَ للحُبِّ .. جوعِكِ للخُبزِ
واخترتُ حُبَّكِ فى النّفي
يارُوحَ كُلِّ الذين تهاوتْ
على عَتَباتِكِ أجسادُهمْ

لم تكفّ عن النبضِ
قَرَّتْ عيونٌ بمرآكِ
فى آخرِ الدَّرْبِ
تَحتضنينَ اليبابَ
ولا تُسْلِمينَ النّقاب
فغابوا وهم يُمسكونَ بطَرْفِ ردائِكِ
يحتضنونَ الشُّعاعَ الأخير
ويَبتسِمون خلالَ الدُّموع

— • —

أُسَافرُ فى المُدُنِ المطمئنَّةِ بالخوفِ
والمستجيرةِ بالنارِ
هذا زمانُ الفجورِ أو السَّيْف فينا
لنا الصدرُ دون الرجالِ أو القبرُ
(مسرورُ) هذا الزمانِ يُساوِمُنا
بينَ نِطْعِ (الرَّشيدِ)
وبينَ فِراشِ الجَوارى
يُساوِمُنا بين جَنَّته فى نعيمِ الغيوبِ
وبين جَحيمِ الحقيقةِ .. يُوصِدُ باباً
علينا .. ويُطلقُ بُوقاً
لِنَختارَ سلطاننا

بين مَبْغىً وبَيْنَ مُصَلَّى
فلا جور عندَ الرَّشيدِ ولا جَبْرَ
دستُورُهُ بَيِّنٌ كالسَّماء
لنا الأمْرُ والنَّهيُ كيفَ يَشاء
لنا حقُّنا فى اختيارِ المَصِير !!

— • —

أسافِرُ أمْ أكْتَوِى بالحنينِ إلى قَاتِلى
أقاتِلُهُ ؟ لم يَعُدْ فى يَدَىّ
سِوَى قَبْضَةٍ من جُمار
سِوىَ الحرفِ لاسَيْفَ يَعْنُو لديه
وبُقْيا حِجار
ولعنةِ بُؤسِ الحكوماتِ والمُخْبِرين
أبِيتُ على جُرْح زَنْبقَةٍ مِنْ دَمِى
بأيدى السَّماسرةِ الأقْوِياء
وأصْحُو على ضَجَّةٍ من دُمىً
قَمائِطَ مَحْشُوَّةٍ بالحَطَبْ
مُجَوَّفَةٍ بالخُطَبْ
تُنازِعُنى كبِدى المُغْتَصَبْ
وبُؤْسَ جَوازِ المَقَر

— • —

أُطارِدُ بينَ البُكور وبينَ الرَّواح
أُصَادِرُ بين الرَّواح وبينَ البُكُور
وبِاسمِ تدابيرِ أَمْنِ الرَّعايا
تَسُنُّ الوُلاةُ المَوالى الوَصَايا
تَسُنُّ تقَاليدَ جُرْحِى
تفاصيلَ عَيْنِى
تُلَوِّن لى نَظَراتِ الغَضَبْ
أغانِىَ هذا التَّعَبْ
مَراثِىَ حُلْمِى الرِّياحَ التى
لاتَهُبّ
تُساوِمُنى بين وَهْمى
وبينَ مُجُونى
لأَسْعَى على قدمٍ أو يَدٍ
تُساوِمُنى فى مُقَامِى
لأختارَ مابينَ عَيْشِ الفَرَاشِ
مُكَفَّنَةً فى بُطونِ الكُتُبْ
فَرابينَ قَلْبِ الصَّبِىّ
رَمَادَ الجَناح الذى
لَمْ يَطِرْ
وبينَ امْتِلاكى الثُّرَيَّا

بشِعْرِ الخُطَبْ
تُساوِمُنى فى جَوازِ السَّفَرْ

— • —

يُصادِرُنى الفجرُ خوفَ العَشيَّةِ
تأتى العَشيَّةُ أمْناً
يُصادِرُنى أمنُهم خِيفَةَ الفجرِ يَأتى
أنا الفجرُ وَشْمُ الدَّمِ المُستَباح
أنا الاغْتِيالُ الجَرِيمَة
لا عُشٌّ فى النّيلِ آوِى إليّه
ولا وطَنٌ غَيْر كَهْف (المُقَطَّمِ)
بين ثُغاءِ الشّيَاهِ العُراةِ
وسَوطِ الذِّئابِ الرُّعَاةِ
تَوضّأتُ بالدَّمِ ثم أقمتُ المُصَلّى
على شاهِدِ المِقْصَلَهْ
أنا الاغْتيالُ الجريمَةُ
لاوَكْرَ إلا بُيوت الأفاعِى
أُضَاجِعُها
لا غرامَ سِوَى للجُنودِ
حُمَاةِ الحِمَى
لاحياةَ سِوَى لِلْمَليكِ

الرَّئيسِ المُفَدَّى
ولا حَرْفَ إلا صَلاة الغِياب
صلاة النَّبيِّ على المُتَّقِين
ولا خَوْفَ لايَحزنُ المُؤْمِنون !

— • —

ألا أيُّها الحُبُّ ياوطَنَ الحُلْمِ
شادِيكَ بالأمسِ جاءَ يُسَاقِيكَ
كأسَ انتصارِكَ نَبْضَ اغْتصارِكَ
جُرْحَكَ فى رَجُلٍ وَاحِدٍ
بمِلْيُونِ إسْمْ
وجِفْنَة دَمْ
بعرضِ السَّمواتِ والأَرْضِ
تُطْلِقُ مليونَ شَعْب
وتُطْلِعُ مِلْيونَ فَجْر
أُغَنِّيكَ مَلحمَةَ الصَّامدين على النِّيلِ
فى وَطَنِ العاشِقِينَ الأُلى يُقْتَلُونَ
مع اللَّيلِ ... يأتى النهارُ فَيَقْتَتِلُونَ
وفى الفجرِ يفترِشُون العَراء
ويَفتَرِسُونَ الجِيَاد
وهُمْ خائِفُون

وهُمْ جَارِحُون
وهُمْ يُشْرِكُونَكَ لُقْمَتَهُمْ
والرَّصاصَةَ والحَرْفَ والجُرْحَ
بينَ جُنونِ الخَلاصِ وعُرْسِ القَصَاص.

— • —

وأدركنا اللَّيلُ والوَيْلُ بتنا
غريبَيْنِ ياقَلْبُ
بَعْدَ رَحيلِ الفُصول
وبَعْدَ اختلافِ الدِّيار
وزلْزال هذا الخَريفِ المُريب
عَليلٌ أنا المستهامُ المُريب
كأسْفَلتِ هذا الرَّصيفِ الكَئيب
على (المُتَوَسِّطِ) يَحْمِلُ عِبْءَ القُرون
وينفُثُ عِطْرَ الحَريق
كَصَبَّارةٍ فوقَ مَقبرة الشُّهَداء
تَبُثُّ دُخانَ الرَّحيق
كوشْمِ جوازِ السَّفَرْ
كَلَعْنَةِ حُرَّاسِ هذا الثَّمرْ
وأطْياف أمْواتِنا فى ليالى القَمرْ
أسامِرُ نجمَ ليالى العُناة

وآخِرَة الاشْقِياء
وأنتَ يُراوِدُ نجمُكَ نَسْلَ الغُزاة
ومَغْفِرة الأنْبِياء
ويَجْهَرُ بِالضَّحِكِ الأصْفرِ المُسْتَعار
لِيُخْفِيَ زُرْقَ النُّيوب
وخائِنَةَ الأعْيُنِ الجارِحات
ويَقْتُلَ بالنَّزْفِ أزْكَى مُحِبِّيكَ
بالزَّيْفِ يَرْجُمُ ماطَهَّرَتْهُ
بِحارُ العَذاباتِ
واحْتَضَنَتْه الدُّروبُ الحَرائِقُ
بينَ أغانى الدِّماء
أُسافر عَبْرَ مَرافِيءِ هَذى العُيونِ
التى اغْرَوْرقتْ بالحَنِين
الأكُفِّ التى انْفَجَرتْ
بالفِراقِ العصافيرِ فوقَ السَّواق
التى انتَحَرتْ بالعِناقِ السَّواق
التى احْتَرَقَتْ بالمَواوِيلِ
يانِيلُ
يالَيْلُ
ياعينُ

حانَ رَواحُ الغريبِ
النَّفِيرُ يُصَفِّر لحنَ الخروجِ الأخير
يَمِيلُ الشِّراعُ بنا
ويَدُقُّ القَدَرْ
يَسِيرُ الشجر
أمامَ الظُّهور التى انْقَصمَتْ
تحتَ عِبْءِ الوَدَاع
يَمِيلُ النَّخيلُ .. النَّوارِسُ تَنْهَسُ
تَجْثُو مناقيرُها .. لافُتاتَ
النَّوارِسُ تَنْقُرُ أكْتافَنا .. لاحياةَ
النَّوارِسُ تَنْقُرُ أكْبادَنا .. لاحياةَ
العصافيرُ تَحْمِلُ أغلالَنا
والسَّماءُ تُطَوِّقنا بالنُّجومِ السَّراب
تَهُبُّ رياحُ الوَطَنْ
نُراهِنُ : مازالَ حَياً
فَنحْلُم أو تَشْرَئِبُّ العيون
تُطالِعُه فى كتابِ السَّحاب
وتَصْرُخُ : يَحيا الوطنْ
ونَجْهشُ : عاد الوطنْ
يَعودُ السَّراب

تَعودُ إلى كَهْفها الهَرَمىّ
ويَنْأى بها الفَلَكُ الدّائرِىّ
يَضِيعُ الزّمان
يَضِيعُ المَكَان
ولكِنّنا لانَمُوت
لَأنّا الوَطَنْ

وهران ١٦ فبراير ١٩٨٣

العـودة

لم يكنْ بالعاصِفِ الوَجْدِ تَلاقِينا
كأنَّا ما افْتَرقْنا وتَشرَّدْنا طويلا
خانَنا الصَّيْفُ الذى كانَ يُغَنِّينا
صبَاحاً وأصِيلا
ونُغَنِّيهِ رقيقاً وجَمِيلا
حائِلٌ لَوْنُ الحَنايا
والبقَايا مِنْ سَمادِيرِ الخَمِيلهْ
تَكْتَسِى زَهْرَةَ لَيْمونٍ
هَوَتْ بالأَمْسِ
مِنْ يَافاً ...
قَتِيلَهْ
السَّماء اغْرَوْرَقتْ شَجْواً
وكانَ الصَّيْفُ مُراً وثَقِيلا
مُرْهَفَ السَّيْفِ على الأَعناقِ والذِّكْرَى
صَقِيلا
باهِتٌ هَذا المسَاء

وخُطانا تَحْتَ ظِلّ الشّجرِ الدّاهِمِ
ذِكْرَى مَذْبحة
أيُّنا كان على الأعرافِ مَقتولا
ومنْ كان القَتيلا ؟

— • —

فلماذا أنتِ تَجْتاحِينَ عَيْنىَّ
« حَبيبى هذه مصرُ على الأُفْقِ أفِق
هاهُوَ الحُلْمُ على النّهرِ وطَنْ
لم يجِفّ النّيلُ فى الوادى
وظِلُّ الحُب لمَّا يَحْتَرِقْ
ياحَبيبى هذه مِصرُ أفِق »
مِصرُ آهِ مِصرْ
حَوِّلى عينيكِ عَنّى ودَعِى
كُلُّ مافى الكونِ إعصارَ شَجَنْ
ليس هذا يومُنا المشهودُ يامِصرُ
سَنَلْقَاكِ غداً
ليسَ هذا هَرَماً
ليس ماءُ النّيل يا أختُ دَمَا
دَمُنا حالَ بأعناقِ غَوانِيهِمْ
يواقيتَ وفى أجسامِ أشباهِ الغوانى

وَرَمَا
دَمنا حِلٌّ ودُنياهم حَرامْ
هؤلاءِ الأقوياءُ الجُبَناءْ
أم تُرانا القادرينَ التُّعَساءْ

— • —

عائِدٌ منكِ إليكِ .. فأفيقِى
هذه الأشباحُ من صُنْعِ لَيالٍ
رَوَّعَتْنا وأضاعَتْنا
وما كُنَّا بُغَاةً قَتَلَهْ
لا ولا كُنَّا بَنِيكِ الرُّحَماءْ
لَسْتِ مِصْرَ الأنْبِياءْ
لا ولا أنتِ صباحُ المِقْصَلَهْ
حَوِّلِى عيْنَيكِ عنِّى فأنا
أعرِفُ الآنَ الذى تُخْفِينَ
فى صدرِكِ من جُرْحٍ قَدِيم
أعرِفُ الآنَ الذى تُبْدِينَ
من شَوْقٍ كَظِيم
والذى يُزْهِرُ من حِقْد زَكِىّ
فوقَ بُسْتانِكِ يا أُخْتَ النجوم .

— • —

اِغْرِسِى عَيْنَيكِ فى قلبى

أحِيليهِ تُرابا وشظَايا
أو أعِينيهِ على دَفْنِ الضحايا
لَسْتُ مِنْكِ
لَسْتِ مِنّى
نَحْنُ أحياءٌ على البُعْدِ
ومَوْتى فى اللّقاء
نحنُ لم نَدْرِ غَداً أنّا الضّحايا
فأحِيلينى حَريقاً لِلْمنَايا
أو أعِينينى على دَفْنِ الضّحايا

— • —

كان (عَمْرٌو) يَدْفِنُ الأطفالَ فى (صبْرا)
ونحنُ الشُّهَداءْ
كان يَبْكِى فوق أشْلاءِ ضَحايَاهُ
ونحنُ الأُسَراء
كان وَجْهِى الغَائبُ المَقْهُورُ
يَرْجُو المَغْفِرَهْ
كانَ قَلبى المَقْبَرَهْ

— • —

شَاحبٌ وَجْهُ الهِلَالْ
مِنْجَلٌ فَوْقَ الرِّقابِ المُشْرَئِبَّهْ

والجيادِ المُتْعَبه
جَنَّةُ الغَرقَى مَمَرَّاتُ المطَار
مُرَّةٌ فاكِهَةُ الوَهْمِ فَطُوبَى لِلْجياعْ
كانَ وَشْمُ النَّدْبَةِ الأُولى على الصَّدْرِ
وفى الظَّهرِ مكانٌ لم يَزَلْ
لِبَقايا طعنةٍ نجلاءَ تُهْدَى لِلرِّعَاعْ
أوْقَفَ الشُّرْطِيُّ نَبْضَ الكَوْنِ من حَوْلى
وأخْلَى لى الطَّرِيقْ
أوْقَفَ ابْنَىَّ رَهِينَيْنِ
ومَرَّ الغُربَاء
أوْقَفَ ابْنَىَّ مُرِيبَيْنِ
ونامَ الجُبنَاء
وترامَتْ فوقَ أغلالِ الشَّقِى
أىُّ نقمه !!
نَجْمةٌ سوداءُ فى أرضِ المطَار
ألفُ نَجْمَه !!
مَدَّت الأَيْدِى التى خانَتْ لها
ألفَ طَرِيق
يا لَقُطَّاعِ الطَّرِيق
سَقَطَتْ عُلْيا الجُسُور

تحتَ أكوامِ النّفاياتِ
وأحلامِ العُبُور

— • —

بَيننا وَادٍ مِنَ الوَحْشَةِ والدَّهْشَةِ
يَمْتَدُّ شَرَايينَ سَرَابا
بَيْننا بحرُ ذُهُولْ
بيننا وردةُ نَهْرينِ عَتيقَيْنِ
شَقِيقَيْن استُبيحَا
وقَتيلَيْنِ من العارِ بسيناءَ استَراحا
بَيْننا ستَّةُ أعوامٍ عِجَافْ
ونوافيرُ رَمادْ
بيننا وَرْدَةُ آلافِ السِّنِينْ
ومَواوِيلُ اللَّيالى القَمَرِيَّهْ
آهِ يالَيْلِى وياعَيْنِي على الوادِى الظَّلِيلْ
مُطْرِقاً تحتَ السَّماءِ الحَجَرِيَّه
مِصْرُ آهِ مِصْرُ هانحنُ نعودْ
فمتَى أنتِ تَعودِينَ إلينا ؟
لستِ (إيزيسَ) على النَّهْرِ
ولا أنتِ (بَهِيَّه)
نحنُ قرَّبْنا لِمحرابكِ ياأُمُّ الضَّحِيَّه

فَلِماذَا لا تعودينَ إلينا ؟
كَمْ قُتِلْنا وقَتَلنَاكِ انْتِظارا
لِتَجيئى فى غَدٍ أَبْهَى
ونَلْقاكِ مُحِبِّينَ أُسَارى
لَكِ كالأَمْسِ رَبِيعاً وكَنَارَا
شاعراً يَملكُ قِيثاراً لِحِطِّينَ شَجِيًّا
حُرَّةً مِصْرِيَّةَ العَيْنَين أُمًّا
تُلْقِمُ الثَّدْىَ وليداً لِشَهِيدْ
وفِدَائياً من (السَّدِّ) و (صيدَا) و (الخليجْ)
ومِنَ الشَّمْسِ على كُلِّ مَضِيقْ
مِصْرُ يامِصْرَ هَوانا
لَنْ تَهُونى
لَنْ تَكُونى
غَيْرَ ما أنتِ ومازِلْتِ لنا
غَيْرَ ماكُنَّا وكُنْتِ
عَرَبِيَّهْ
عَرَبِيَّهْ

— • —

أَيُّها الصَّمْتُ الذى يَسقُطُ
مِنْ جَوْفِ القُرَى

بِالّذِى أضْناكَ مَزِّقْ لَوْعَتَكْ
مَزِّق الأَسْمالَ واصْعَدْ بالْجَسَدْ
خِنْجَرا عُريانَ تحتَ الشَّمْسِ
فوقَ الشمسِ فينا
كَیْ نُفيقْ
ونَرَى
خِنْجَر الشيَّطانِ فى خَاصرةِ العَذْرَا (البَتُول)
والرِّجال الجُوف يَغْشوَنْ ضَرِيحَ (الطَّاهِرَه)

— ٠ —

لَمْ يَكُنْ لَحْنَ جِنازَاتٍ
ولَا وَشْمَ جَوازاتِ السَّفَرْ
كَانَ أن نَحْيَا حيَاتَيْنا مَعاً
بَيْنَنا بَحْرُ نَجِيعٍ يَنْتَظِرْ
أنْ يَموتَ الموتُ والشَّمْلُ جَمِيعْ
بيننا عُرْسُ حِدَاد
وتَماثِيلُ دُموع
بَيْننا خَوفٌ خُرافِىٌّ ضَرِيرِ
لم يَزَلْ يَصْرُخُ مَنْ يَقْتُلُهُ
بَيْننا ما بَيْننا مِنْ مَارِقِينْ

بَيْننا مَابَيْنَهم مِنْ قَاتِلينْ
بَيْننا جِسْرُ الجَحِيم
بَيْننا وَادى العُبُورْ

وهران ١٧ سبتمبر ١٩٨٣

الوردة والنهر القديم

خَارِجٌ مِنْ زَمَنى
غَير عِطْرِ الوَرْدَةِ الأُولَى
عَلى الغُصْنِ الجَدِيبْ
أيُّها النَّهْرُ الذّى يَسْكُنُها
تَسْكُنُهُ .. يَسْكُنُنِى
تَحْتَ جبالِ الشُّهَداء
رِغْوَة مِنْ طَمْيِكَ الحَانِى
ومِنْ عِطْرٍ حَمِيم
شَوْكَة مِنْ قَسْوَةِ العَصْرِ الرَّجِيم
كُلُّ هَذا الزَّمَنِ المَوْبُوءِ
ماضٍ حَاضِرٌ
كُلُّهُ كَانَ يَكُونْ

— • —

وَرْدَتِى .. لَمْ يَذْبُل العِشْقُ القَدِيم
وسَنَلْقَاكِ وإنْ طَالَ المَدَى
وسَنَلْقَى بِكِ وَجْدِى الظَّامِىَء الطَّاغِىَ

والغُصْنَ الرَّطيبْ

— ٥ —

يانُجوُمَ القَاهِرَهْ
لاتَنامِى
لاتَكُونِى وَمَضَاتٍ مِنْ دُمُوع
فى عُيُونِ القَادِمين
لا ولَا ذَوْبَ شُمُوع
فى ضَمِيرِ الرَّاحِلِينْ
لا تَغِيبى
نَحْنُ مَازِلْنا نُعَانِى ونُغَنِّى
نَدْفِنُ المَوْتَى ونَشْدُو لِلْحيَاه
لَكِ .. لِلْوَرْدَةِ والنَّهْرِ القَدِيم
لاتنَامِى
يانُجُومِى
لاتَغِيبِي

وهران ٢٧ سبتمبر ١٩٨٣

أغنية شجية للوطن

عائِدٌ مِنّ زَمَنى
غَارِقٌ فى وَطَنى
وطني مَهْدٌ هُلامىٌّ وَثِيرْ
دُودَةُ القَزِّ أنا
ضَمَّهَا فِى صَدْرِهِ الحَانى الجَرِيح
فانْحَنَتْ تَنْسِجُ أكْفانَ الحَرِيرْ
لَسْتُ بالغَازِى الصَّلِيبِىّ
ولكنَّ الذى أحْكَمَ أغْلالى
« صَبِيح »*

وهران ٢٩ سبتمبر ١٩٨٣

* إشارة إلى إيداع لويس التاسع ملك الصليبيين فى دار القاضى ابن لقمان بمدينة المنصورة تحت حراسة « الطواشى صبيح » بعد هزيمته . وقد اشتهر فى ذلك قول شاعر من ذلك العصر :

دار ابن لقمان على حالها   والقيد باق والطواشى صبيح

المرايـا

هَمَسَتْ لى ياحَبِيبى
هاهُوَ النَّهْرُ من المَنْفَىَ يَعُود
وأحاطَتْ بِى ذِرَاعَيْها
وعَيْنَيْها وغَنَّتْنى هَوَاهَا
وَهْى تَرْوِى
ذِكْرَياتِ الغَدِ والظِّلُّ ظَلِيل
ورُؤَانا
يَوْمَ غَرَّتْنا الأمانِى
فَشَدَوْنا
أَعْيُناً تَحْتَضِنُ اللَّيل لِيُبْصِرْ
أَضْلُعاً تَنْداحُ فى الكَوْنِ لِيَكْبُرْ
واحْتَوَتْنى بَيْنَ عَيْنَيْها تُغَرِّدْ :
هَاهُوَ النِّيلُ علَى عَيْنِ المُحِبِّينَ القُدَامَى
مُرْهَف الخَطْوِ من المَنْفَى يَعُود
ماتَراهُ يَنْتَظِر
فلِماذَا صَوْتُكَ الشَّاجِى مُوَيْجَاتٌ تَحَدَّرْ

خَفقَاتٌ تَتَرَدَّدْ :
لم يَزلْ فى رَحِمِ الأُفْقِ البَعِيد !!
فَجْأةً دَقَّتْ على أرْضِ المَطَار
خُطُوَاتُ القَادِمِينَ القَتَلَهْ :
أُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينْ
وتَوَلَّى الحَرَسُ السِّرِّىُّ تَأْمِينَ العُبُور
سَقطَ العُصْفُورُ واسْتَعْلَى الجَرَاد
ياحَبِيبى ثُمَّ رَاحَتْ فى شُرُود
عَرَفَتْ سِرِّى
وغَنَّتْ فى شُحُوبْ :
الفَراشَاتُ تُغَنِّى وتَمُوتْ
والمطَارَاتُ مَرايا عَنْكَبُوتْ !!

وهران ٣٠ سبتمبر ١٩٨٣

أغنيات فلاح فصيح

وَطَنِي عُشٌّ هَدِيل
خَوْذَةٌ تَرْتَدُّ أفْعَى
ومِظَلَّهْ
مِنْ نَسِيجٍ عَنْكَبوتِيٍّ مُقَدَّسْ
شَفْرَةُ السِّكِّينِ .. سِنْدَانٌ
وفَأْس
فَوْقَ أعْناقِ نَخِيل

— • —

وَطَنِي سَهْمٌ وقُبْلَهْ
كَرْمَةٌ .. كَأْسٌ لِفَاشِيٍّ
وتَنْهِيدَةُ أُم
قَمَرٌ عارٍ
وطِفْلَهْ

— • —

وطَنى « عُلْبَةُ لَيْل »
فَوْقَ زَنْدٍ لِأَجِير

طلَع البَدْرُ عَلَيْهِ
وَهْوَ يَبْكِي ويُغَنِّي
مَاردٌ يَفْنَى ويَحْيَى
مُسْتَجِيرٌ ومُجِير

— • —

لَمْ يكنْ بائِعَ فُلّ
ذلكَ الكَفُّ الصَّغِير
كانَ مَوَّالَ حصَاد
تحتَ رِيحٍ ورَمَاد .

— • —

كانَ يامَا كانَ ظِلٌّ لِصَبِيّ
لُعْبَة بينَ الجِياد الفارهَةْ
ودَّ لَوْ يَعْدُو ولَكِنَّ المكَان
لَمْ يَسَعْ غَيْرَ السَّعَالِى الزَّاحِفَةْ
كُلُّ زَوْجَيْنِ معاً يَسْتَبِقان
وَهْوَ لَايَمْلِكُ إلا غُصْنَهُ
تَحْتَ لَيْلِ العجلاتِ الرَّاجِفَه

— • —

أدْركَ الطُّوفانُ ماأبْقَى الطُّغَاه
وَهْوَ لايَمْلِكُ مِثْقالاً لِيَرْضَى

صاحِبُ الفُلْكِ .. ولا
مَهْرَ هذا الكَفَنِ الغَالِى
لِمَنْ شاءَ النَّعيمَ الأَبَدِىّ
يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ يَمْلِكُ
مِفْتاحَ الحيَاهْ
وعلَى الأَعْراف أكْوامُ العُرَاهْ
أخْطأتْ بابَ الجَحِيم

— • —

كانَ يامَا كانَ إعصارٌ
يُغَرِّدْ
بينَ أغْصانِ القُبُور
بينَ أجْداثِ قُصُور
كانَ ناياً يَتَعَمَّدْ
بَيْنَ مَاءَيْنِ عَلَى النَّهْرِ
يُرَائي أَوْ يَثُورْ ؟

— • —

بَيْنَ مَوْتَيْنِ جَمِيلَيْنِ
حَلُمْنا باللِّقَاء
تَحْتَ جُنْحِ النِّيلِ
أَوْ قَاعِ السَّماء

العودة من المنفى

ذلكَ الطَّيفُ الذى وَدَّعَنا
مُعْجَلاً يُمْعِنُ فى لَيْلِ الشَّتات
مَنْ تُرَى ياقلبُ قد أَوْدَعَهُ
قَطْرةً مِنْ رُوحِنا والذِّكْرَيات ؟
ما الذى ياحُبُّ قد رَوَّعَهُ
فاشْتَرى بالعُشِّ مَنْفىً
وبِوَادِيكَ الضَّبابْ ؟

— • —

لَمْ يَجِيءْ صَيْفٌ
ولم يَرْحَلْ شِتاء
والتَّوانى عِبْءُ أعْوامٍ هَباء
بينَ إعْصارٍ رَبِيعِىٍّ
وزِلْزالِ خَرِيفْ
أَخْمَدتْ رِحْلتنا شَمْس الفُصُول
أَوْقَدَت نارَ الذُّبُول

— • —

النَّقِيضَانِ عَقِيمانِ .. فَهَلْ
يُبْعَثُ الثَّالِثُ مِنْ قاعِ الصِّراعْ ؟
غَيْمَةُ الأمسِ تُغَشِّينا .. فَمَنْ
مُخْرِجُ الحَيِّ مِنَ المَيْتِ غداً ؟
ومَتَى يُطْلِقُ مَرْسَانا الشِّراعْ ؟

— • —

يَغْتَلِي القَصْرَ حَصَى الكُوخِ الرَّمِيم
ومِنَ الغُدْرانِ طُغْيانُ البِحَارْ
غَيْرَ أَنَّ الشُّهْبَ تَهْوِي والرِّياح
تَغْتَلِي مَوْجاً ورَجْماً ودِمَاء
والمَسَرَّاتُ الهَشِيم
ويَعودُ الكَهْفُ شَمْساً
لِيَقُومَ العَاشِقُون

وهران ـــ ٧ أكتوبر ١٩٨٣

غنائيات للنيل

كُلُّ هذا الدَّمِ يانِيلُ
ولا تَرْوَى
فكيفَ الفَلَواتُ !!
أيُّها النَّهْرُ الذَّى مِحْرابُهُ
أبداً لم تَخْبُ فيه الصَّلَوات
لَكَ مِنَّا كُلَّما شِئْتَ عَطاء

— • —

أيُّها السَّاقِ اسْقِنا حَتَّى تَرانا
بَعْضَ ماءِ النِّيلِ
خَمْراً ودِنانا
يُولَدُ الرَّاعى من الطَّمْيِ
لِيَبْقَى
عَارِياً مِثْلَكَ
لَكِنَّ الكَفَنْ
تَسْتَوِي فيه بَغِيٌّ

وَوَثَنْ

— • —

يَستَوِى قَبْرٌ وقَصْرٌ وهَرَمْ
حينَ يَنْسابُ خَرِيرُ السَّاقِيهْ
مَنْ خَلاياكَ
وهَمْسِ الشُّهَداء
وتُغَنِّي لكَ أرْواحُ الظِّماء
مِنْ قُرَانا السَّاجِياتِ النَّائِية
أينَ مِنِّى آهةٌ مِنْ نايِهِمْ
هالةٌ مِنْ نُورِهِمْ
هؤلاء الأُسَراء الطُّلَقاء
ومَتى نَقْتَسِمُ الجُرْحَ الوَطَنْ ؟

— • —

يُولَدُ الرَّاعِى مِنَ الرَّاعِى
ويَنْجُو الخَوَنَهْ
وتَدُور الأَزْمِنَهْ
فإذا البَذْرُ محَاق
وحَصَى الوَادِى تَعَالَى
مِئْذَنَهْ

وهران ــ ١١ أكتوبر ١٩٨٣

لكَ ما أودَعْتنى

أيُّها النَّهْرُ الذى يَغْمُرُنا
عَسَلاً .. مَوْتاً بَهيجاً .. ياسَمِينْ
لَمْ يَزَلْ مَجْلاكَ سِرّ العَاشِقِينْ
شَفَقاً .. فَجْراً رَقِيقاً .. وَسَنَا
أيُّهذا الطَّائرُ السَّاجى الرَّفِيقْ
مُغْرَقاً فى الضفَّتَينْ
مُشْرَعاً كَالرُّمْح فى قَلْبِ (الصَّعِيد)
والذِّراعَانِ على البَحْرِ رَحِيقٌ وحَرِيق
لَسْتَ مَصْلُوباً فَمَنْ يَذْكُرُ لَيْلَاتِكَ
مَنْ يَذْكُرُ أيَّامَكَ يانِيلُ
عَلى ثَغْرِ (رَشِيدْ)
و (طَوابِيكَ) على (دُمْياطَ)
يانيلُ ورُؤْيا (بُورسَعِيد)
قَلْبُكَ الشَّمْسُ وعَيْناكَ القَمَرْ
والجَنَاحَانِ نُجَيْمَاتُ الفَلَكْ
أيُّها الصَّقْرُ الأغَرّ

لاتَدَعْنى نَهْبَ حَفَّارِ القُبُور
إنْ يَحِنْ يَوْمِى وخُذْنِى فى يَدَيْك
عَلَّنِى أَرْتَدُّ وَمْضاً يَهْتَدِى بِى
رَكْبُ عُمَّالِ التَّراحِيلِ لَدَيْكْ
والحَيارَى فى البَوادِى والرَّوَابِى
واسْتَرِدِّ الغَدَ ما أَبْقَيْتَ مِنْ
عَظْمِىَ المَنْخُورِ والقَلْبِ العَنِيد
كَبِدِى الحَرَّى شِرَاعِى المُسْتَمِيت
عَلَّها تَصْلُحُ سَقْفاً لِشَرِيدْ
حَجَراً فى شَاطِئَيْكْ
لَكَ ما أَوْدَعْتَنِى
والذَّى أَبْقَيْتَ لى
حُلْم صَيَّادٍ صَغِير
ومَلاذاً لأَجِير

وهران — ١٢ أكتوبر ١٩٨٣

دعوة للقمر

نَظْرَةٌ عاشِقَةٌ أَمْ مُشْفِقَهْ
فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ تَنْأى بى إِلَيْكْ
أيُّها الطَّيْفُ الجَمِيلْ ؟
أَمْ تُرَانى ذلكَ الجِسْرَ العَتِيقْ
أَنْكَرَتْهُ قُبُلَاتُ العَاشِقِينْ
فانْطَوَى بَيْنَ الضُّلُوعْ
مِثْلَ ذِكْرَى أُغْنِيَهْ
وبَقايا مِنْ دموعْ ؟

— • —

أيُّها النَّجْمُ البَعِيدْ
تَعْرِفُ الرَّقْصَةَ والتَّهليلَ أنهارُ الرَّبيعْ
والمَواويلُ نَصيبُ السَّاقِيَهْ
شَجَرُ الصَّفْصَافِ يَحْنُو
سَعَفُ النَّخْلِ .. يَدُ الفَأْسِ
عصَا الرَّاعى .. تَمِيلْ
والصَّدَى عَانٍ خَرِيفِىٌّ مَلُولْ

بَيْنَ جُمَّيْزٍ خُرَافِيٍّ وتُوتْ
وطَواحِينَ الغِلالِ الصَّدِئَهْ
لَمْ تَزَلْ بالوَهْمِ والذِّكْرَى تَدُور
غَيْرَ أَنَّ الوَرْدَةَ الطِّفْلَةَ تَأْبَى
أنْ تَمُوتْ
قَبْلَ أنْ تُفْشِيَ أسْرارَ العَبِير
والعَصَافِيرِ الفَراشَاتِ تَطِيرْ
لِتُغَنِّي لِلْفُصُول

— • —

أَيُّها الحُلْمُ السَّعِيد
عَرَقُ الكَافورِ شَلَّال دِمَاء
فى شَرَايِينِ الجُبَاهْ
حَينَ يَبْكِي النَّايُ حُزْناً
وأعاصِيرُ جَحِيم
كُلَّما أغْمَد لَحْنَ الحِقْدِ فى بِئْرِ السِّنِينْ
فإذا عَرْشُ الفَرَاعِينِ هَشِيم
والتَّماسِيحُ عَلى النِّيلِ عُرَاهْ

— • —

لَيْسَ صَمْتُ الجِسْرِ صَوْتُ العِشْقِ إلَّا
زَمنَ النَّارِ ونَار الأبَدِيَّهْ

والَّذِى بَيْنَ بِحارٍ وسَوَاقٍ
مَرْثِياتٌ لِلْهَدِيرِ
وأغَانٍ لِلْخَرِيرِ

— • —

أيُّها العُشَّاقُ لايَحْلُو السَّهَرْ
فَوقَ شَطِّ النِّيلِ إنْ غابَ القَمَرْ
فتأمَّلْ
أيُّها الطَّيفُ الجَميلْ
وتَألَّمْ
أيُّها الحُلْمُ السَّعِيدْ
وتَعلَّم
أيُّها النَّجْمُ البَعِيدْ
كَيْفَ تَدْنُو
ثُمَّ تَرْتَدُّ شِهَاباً
وعَذاباً
كَيْفَ تَغْدُو قَمَراً
ثُمَّ تَشْقَى
لِتَثُوْر

وهران — ٢٠ أكتوبر ١٩٨٣

ترنيمة للقلب الغرير

أنتَ سِرُّ المَلَكُوتْ
بالَّذِى خَيَّرْتَنِى
بينَ آلامِ المخاضِ الدَّمَوِىّ
ومَسَرَّاتِ الرُّقادِ الأَبَدِىّ
بينَ مَهْوىً لِلنَّعِيم
وصُعُودٍ فى الجَحِيم
أنتَ ماأَبْقَيْتَ لى
غَيْرَ تَذكارِ اليَقِين
الغَدُ اليومَ مضَى
والذى وَلَّى مُقِيم
أَيُّها القَلْبُ الذى
ليسَ يَحْيَى أو يَمُوت

— • —

كُلُّ ماكانَ عَقِيم
مَوْجةٌ دون بِحار
هالةٌ دُون قَمَرْ

وشِراعٌ فى القِفار
دَمْعةٌ خَرْساءُ تَشْكو
صدَاْ القَلْبِ الجَلِيد

ـــ • ـــ

ليسَ يَنْعى القادِمين
قَصَبُ النَّاى إذا
نُفِخَ الصُّورُ ولا
وَرْدَةُ الشَّمْسِ تُحَيِّي الرَّاحِلِين

ـــ • ـــ

والَّذِى يَأْتى غَمام
لَيْسَ يَبْكِى ظَمَأْ النِّيل غداً
وعلَى الشَّطَّيْنِ لايَدْنو مَطَرْ
لا ولَا يَنْأى شَجَرْ
هذهِ الغَيْمَةُ رُوحٌ هائِمٌ
عِشْقُها هُدْبُ الصَّبايا
يَفْرِشُ الوادِىَ ظِلاٌّ
فدَع التَّذكارَ واهْبِطْ
أَرْضَ مِصْرْ
وانْتَظِرْ
أو فَانْفَجِرْ

فالَّذى يَمْضى ضَبَاب
والَّذى يَبْقَى الحَجَرْ

ـــ ٠ ـــ

أيُّها الطَّيْفُ المَرِحْ
لم يَزَلْ قَوْسُ قُزَحْ
والسَّماواتُ فَرَحْ

وهران ـــ ٢١ أكتوبر ١٩٨٣

عروس الجنوب

مَنْ ذا الذى يَشُقُّ لحدَه المُخَضَّبَ الشَّهيدْ
بينَ صُدورِ القَتَلهْ !
مَنْ ذا الذى يُبْدِلُنا
بِالْجِيَفِ المُهْتَرِئَهْ
طَلْعَتَكِ المُغِيرَةَ المُستَبْشِرَهْ
بالموتِ للحياهْ
أكْفانَكِ المُضَمَّخَهْ
بالدَّمِ والطُّيوبْ
وحِنطَةِ الجَنُوبْ ؟

— • —

مَنْ ذا الذى يَحْفُرُ فينا قَبْرَهُ
يُبْدِلُنا بكلِّ ماشِدْناه مِنْ خَواء
أسيافنا .. سُجُوننا العُراهْ
رُعاتنا الشِّياهْ
أشْداقنا المُمْتَلِئهْ
جُلُودنا المَوْشُومَة المُحَنَّطهْ

بِساطنا الأحْمر فى المطَار
والطَّائرات الصَّدِئَهْ
يُبْدِلُنا بالجِيَف المُهْتَرِئَهْ
جَناحَكَ المسكونَ بالفردوسِ والجَحِيم
جَناحَكِ الرحيمْ
جَناحَكِ الرجيمْ

— • —

مَنْ ذا الذى سَوَّاكِ ياسناءُ يا
حُوريَّةَ الجَنُوب يا
حُرِّيَةَ الدَّمِ المُراقِ فى حَدائِقِ الحَيَاه
يُجَمِّعُ الأشْلَاء
لِتَسْتَحِيلَ عَرَبَا ؟
يُفَرِّقُ الأشْلاءْ
لِتَسْتَطِيرَ لَهبَا ؟
مَنْ عَلَّمَ الأسْماءْ
غَيْرِكِ ياسَماءْ
مَنْ ياتُرَى غَيْرِكِ ياسَناء
يَعْرِفُنا
بِطُهْرِهِ وعَارِنا
يُحِبُّنا

بِفَرْحِهِ وحُزْنِنَا
يقهرنا
بجَهْرِهِ وصَمْتِنا
من ذا يقولُ الكَلِمَهْ ؟
مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ تَحْمِي الشَّجَرَهْ
تُذْكِي رَمَادَ المَجْمَرَهْ
بينَ جُنُوبِ السُّجَناءِ المَرَدَهْ ؟

— • —

مَنْ ذا سِواكِ ياسَناء
يَرْفَعُنا لِلْمِقْصَلَهْ
على رُكامِ القَتَلهْ
لِنَشهدَ الزِّفافَ والضِّفافَ والطَّواف
حولكِ ياسَماء ؟
مَنْ قبَّل الغداةَ فَرْعَ السُّنْبُلُه
قَبْلَ الحَرِيقْ
ومَنْ شَدا لِلْقُبَّرَهْ
وأَوْدَعَ الوجدَ شِفاهَ السَّوْسَنَه
قَبْلَ ارْتِحالِ الشمسِ .. قَبْلَ أنْ
نغتالَ عَذراءَ الشُّروقْ ؟
مَنْ فَجَّر الوجهَ الرَّبيعَيَّ الجَميِل

شَظِيَّةً فى قُنْبُلَهْ ؟
مَنْ ياحَبِيبَتى
مَنْ ياابْنَتِى التّى
قد أنْجَبَتْنى مَرَّتَيْنِ .. مَرَّةً
يومَ صُلِبْتْ
ومَرَّةً حِينَ نَجَوْتُ بالبَدَنْ ؟
مَنْ يَرْكُزُ الرُّمْحَ النَّبِيلْ
بَيْنَ الرِّقابِ النَّخِراتِ المُشْرَعَهْ
بسَوْطِها وبُوقِها
سيِّدةً على الحُطَام
أمِيرةً على خزائنِ الجُباه
والجُثَثِ المُنْتَفِخاتِ المُتْرَعَهْ
بِقَيْحِها وقَمْحِنا
بِقُبْحِها وذُلِّنا
على النِّجادِ والوِهادِ والبِّحَار
من ذا سِوَاكِ ياسَناء
يُسَدِّد الرُّمْحَ الرَّحِيم ؟

— • —

أيَّتُها الحَبِيبةُ المُرْتَحِله
لَمْ تسْمَعِى أنينَ ثَكْلَى .. صَيْحَةً

لِأرْمَلَهْ :
« وِينْ يَاعَرَبْ !! »
تُغْرِيكِ أنْ تَسْتَشْهِدِى
لَمَّا أَبَتْ أنْ تَنْتَحِرْ
أَصْنامُنا المُتَوَّجَه
لِكِنْ سَمِعْتِ المَيِّتِينَ القَادِمِينْ
مَنْ عَلَّمَ الطَّيْرَ السَّجِينْ
هذَا اليَتِيمَ المُدَّثِرْ
بالرِّيحِ واللَّيْلِ المُسَجَّى والمَطَرْ
مَنْ عَلَّمَهْ
أنَّ أباهُ الشَّمْسُ والأُمَّ القَمَرْ ؟
مَنْ عَلَّمَ الغُصْنَ المُبَرْعَمَ الرَّطِيبْ
سِحْرَ انْفِجَارِ الماءِ فى الخَلِيَّةِ المُخْضَوْضِرَهْ
سِرَّ انْتِحارِ الصَّمْتِ فَوْقَ المُنْحَدَرْ ؟
عِشْقَ أَزِيزِ النَّارِ تَرْعَى فى الشَّجَرْ
مَنْ عَلَّمَهْ
كَيْفَ يُحِيلُ الفَجْرَ جَمْراً والشَّجَرْ
عاصِفةً .. والحُبَّ دِرْعاً للعُناهْ
والموتَ كى تَحْيا الحَياه ؟

— • —

مَوْتٌ حَياهْ
قِدِّيسَةٌ ولا ضَرِيحْ
دَمٌ ولا قَتِيلَ لا جَرِيح
دَمٌ يَجِفُّ .. لايَجِفّ
كُلَّ صَباحٍ يَنْبَثِق
صواعِقاً جَوارِحاً شُهُبْ
خَلِيَّةٌ مُقَاتِلَهْ
ضَفِيرَةٌ مُناضِلَهْ
كُل مَساءٍ يَخْتَرِقْ
مَرافِئاً سَبِيَّةَ القُرْصَانْ
مَصارِفا لِلَّعَرَقِ الخَضِيبِ
لِلدَّمِ السَّلِيبْ
وَهْج براكينِ الغَضَب
نَبْض شَرايينِ التَّعَبْ
ذَرَّات هذا المَنْجَمِ السَّحِيقْ
صَرْخَة هذى الطِّفْلةِ الغَرِيقْ
هَبَّات هَذِى الرِّيحْ
تَمَرُّدَ الإعْصار
هَبَاء هذا العَالَمِ المُنْهار

— • —

قُرْبانَ لبنانَ عَرُوسَ البَحْرِ والغَمَام
أَيْنَ تُرَى نَبْنى لَكِ الرُّخامْ ؟
فَوقَ شُمُوخِ الأَرْزْ ؟
تَحتَ شُموعِ المَوْجْ ؟
أَمْ فى حَنايا القَمَرِ الحَزِينْ ؟

ومَنْ يَرُشُّ الماءْ
مَنْ يَحْمِلُ العَبِيرَ للحَبيب
أَيْنَ تُرَى تَمْتَزِجُ الوُرودُ بِالحَنِينْ
يَمْتَزِجُ التُّرابُ بالوُرُود
مَزارُكِ القَبْرُ الذى لَيْسَ يُزَار
لَيْلٌ نَهار
لَا لَيْلَ لانَهارْ
مَزَارُكِ النِّيلُ الذى لَيْسَ يَفِيضْ
حتَّى يَرَى عَرُوسَهُ .. قُرُبَانَنَا
تَغُوصُ فى أحشْائِنا
تُنْقِذُنا مِنْ غَرَقٍ
عَذْراء لاتُبَاعُ لِلْبَغِىّ
لاتُزَفُّ لِلصَّنم
حتَّى يَرَى
أهرامَهُ .. أَعْيادَهُ المُرْتَهَنَهْ

خُضْرَة ماطَوَّقنا مِن اليَبَابْ
صُفْرَةَ أيْديهم حَدِيقَةَ السَّرابْ
حَقِيقَةَ الأزْمِنَةِ المُغَيَّبَهْ
نَضْحَ فَسادِ الأمْكِنَه
سِرَّ انْكِسَارِ المِئْذَنَهْ
كَيْ لَايَرَى
دَوْرَةَ هَذِى الأرْضِ بِالتَّرائِبِ المُحَدَّبَهْ
دَوْرَةَ هذى الأرْضِ بالأرائِكِ المُذَهَّبَه
أنامِلَ الحِنَّاءِ والأصابعَ المُلْتَهِبَهْ

— • —

طَيْفُكِ لَاشَجْو ولا حَنِين
سَقْفٌ مُضَاءٌ فوقَ عَامِلَينْ
كُرَّاسَةٌ لِرَاعِيَيْنِ شَارِدَيْن
ظِلُّكِ دِفْءُ طائِرَيْن أزْغَبَيْن
رُؤْيا خَلاصِ عاشِقَيْن
مَباهِجُ السِّنِينْ
ياغَضَباً يَكْوِى جِباهَ المُرْجِئَهْ
ظُهورَها المَحْنِيَّةَ المَلْوِيَّةَ الأعناقِ
لِلْمُغامرينَ الفَجَرَهْ
ياجَبْهَةَ المُسْتَضْعَفِين

غَرَّاءَ كالحقيقة المنتصرهْ
شَمَّاءَ كالصَّنَوْبَره
ياغَيْمةً مُهاجِرهْ
إلى رُبى العَدْلِ الذى
كَم انْتَظَرْنا .. لايحينْ
كَم احْتَرَقْنا .. لايُضِيءْ
ياأَحْرُفَ الَّلهيبِ فى
أسْفَارِنا .. عُيونِنا المُنْطَفِئَهْ
يا أوَّلاً لنَا
ومُنْتَهىً لِلْمُتْرَفِينَ الصَّابِئَهْ
ياحَبَّةَ العَرَقْ
ياجُرْحَ أَيْدينا الَّتى
فَدَيْتِها لِتَعْتَنِقْ
قَيْدَ رِقابِنا الذى
فَجَّرْتِهِ لِنَنْعَتِق

— • —

لَنْ تَصْعَدَ الجَبَلْ
بَعْدَكِ ياسَناء
بَيْنَ صَبَايا الحَيِّ ياأُسْطُورَةَ الفِدَا
أَبْهَى سَناءً مِنْكِ يا

شَقِيقَةَ الشُّمُوسِ والأَقْمَارْ
ياشَجَنى .. ياشَهْقَةَ الوَتَرْ
ياحُلُمَ النِّساءِ مِنْ قِدَمْ
ياقَطْرَةً تُرْوِى الصَّدَى
يازِينَةَ الحُسَيْنِ .. قُبْلَةَ النَّدى
عَلى الدَّمِ الشَّهيدِ يا
صَغِيرةً على الرَّدَى
أَكْبَر مِنْ أَحْلامِنا
مِنْ صَلَفِ الأَفْعى ومن تَشَدُّقِ المُرْتَزِقَهْ
يايَدَنا القَوِيَّةَ المُمَزَّقَهْ
ياكَبِدِى المُحْتَرِقَهْ
سَناءُ ياحُرِّيَّةَ السِّندانِ والمِحْراثِ يا
مُعْجِزَةَ الجُموعِ حينَ تَتَّحِدْ
ياسِدْرَةً لِعالَمٍ لَمْ يَأْتِ بَعْدْ
مَوْتُكِ مَجْلاهُ الذي لنْ نَشْهَدَه
مَوْتُكِ مِصباحُ الحَياةِ يَتَّقِدْ
إلى الأَبَدْ
إلى الأَبَدْ

وهران ١٥ مايو ١٩٨٥

مرثية الشاعر محمد البُخارى

ماكانَ لى أنْ أرْثِيَكْ
وأنتَ أبْقَى أنتَ أدْنَى
مِنْ دَمِى
طَيفُكَ أحْنَى .. إنْ تَزُرْنى يَشْتَعِلْ
رمادُكَ النَّدِىُّ .. تَنْطَفِىءْ
جَمْرةُ عَتْبى .. ألَمى
أنَّكَ أخْلفْتَ الذى وَعَدْتْ
نَمضِى معاً
نَبقَى معاً
وَدَّعْتَ ماقَلَيْتْ
رَحَلْتَ ماوَدَّعَتْ
لِمَ الرحيلُ فى الضُّحَى
مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِكْ ؟
يازَمناً ضَيَّعنا وَضَاعْ
ياوطَنا رَوَّعَنا
عِشْقاً إلى المَمَاتْ

نَفْديكَ لَنْ تُباع
ياأيُّها الربُّ المُطَاع

— ٠ —

إنَّا عَلى العَهْدِ القَدِيم
أنتَ المُقِيم
أنا جَناحُكَ اليَتِيمْ
آتِيكَ مَجْنوناً حكيماً .. أَلْتَقِيكَ
غَيْماً لِنَارى .. تَلتَقِينى جنَّةً مُستَعِرَهْ
يامَلَكَ الأعْرافْ
فِرْدَوسُكَ المدينةُ الحبيبةُ المُوصَدَةُ الأبْوابْ
سِرٌّ خَضِيبْ
جَحِيمِىَ الحُرِّيَةُ الغَرِيبةُ الديارِ والصِّحابْ
سِحْرٌ مُرِيبْ
لِأنَّكَ امتلكتَ روعةَ اليقينِ لم تَكُنْ
قِدِّيسَهُمْ
لأنكَ المُلْهَمُ سِرُّ الخَلْقِ سِحْرَ الشُّحْنَةِ المُفَجَّرَهْ
باعُوكَ للأشْباحْ
مُغَلَّلاً مُرْتَهَناً مَلَكاً على الأطْياف
مَنْ ذا رآكَ أمْسِ مِن نُقَّادِنا القَيَاصِرَهْ ؟
مَنْ ذا يَراكَ اليَوْمَ مِنْ كُهَّانِنا السَّماسِرَهْ ؟

وحين جئتَ رَبَّهُمْ تَوافَدُوا لِيَشْهَدُوا
وَلِيمَةَ الفَراشَةِ المُحْتَضِرَهْ
والقَزُّ يَكْسو حاملَ الأسْفار
النهرُ لايَجفّ
والسَّدُّ لايَنهارْ
لكنَّما فِرْعَوْنْ
مازال يَحْدُو السَّحَره

— • —

اليومَ يَنفضُّ السُّرادقْ
تجلُو السَّناجقْ
واليومَ لاتنفضُّ سوقُ الصَّيْرَفَهْ
صاغُوا قِلاداتِ العَقارِبْ
دَقُّوا طُبولاً فوقَ قَبْرِ المَعْرِفَهْ
زَفُّوا العَناكِبْ
واسْتَنْفَرُوا للعُرسِ أفّاق المَواكِبْ
أنتَ الشَّفيعُ المُرْتَجى
أنتَ البَديعُ المُسْتَباح
طاوٍ ولاكُلّ الطُّهَاه
ثَوبٌ رَدِيد
تُغْنِيهِ عن عُرْيٍ صَلاه

صَيْدٌ وَلِيد
خَيْرُ الفِدا نعمِ الزّكاه
مَدُّوا الأوانى والنّمارِقْ
أنتَ الخِوانْ
أنتَ اليدَانْ
أنتَ الشِّواءْ
ماكان أشْهَى لَحْمَكَ المَقْدُودَ
يا ظَبْيَ الأراكْ
جِسْرٌ إلى الأُخرى حِماكْ
قَهْرٌ على الدنيا قِرَاكْ

— • —

النّيلُ أنتَ القاعُ يَخْفَى
عَنْ عُيونِ الرّغْوَةِ الحَمْقاءِ
والمَوْجِ الضّرِيرْ
دَارَتُكَ الممدودةُ الرّحابِ
مِنْ نَداكَ كَعْبَةُ الرّفِيقْ
ظَلٌّ فَقِيرْ
مُلْكٌ وَثِيرْ
سَقِيفَةُ الودادِ فى الضّرّاءِ والسّراءِ
لاسَرَّاءَ فى ممالكِ السّنابِكِ المُتَوَّجَهْ

يُؤْكَلُ لَحْمُ الشُّهَداءْ
فى زَمَنِ المُرْتَزِقَةْ
عينانِ تَخْضَلَّانِ بالشَّدْوِ البَهِيجِ .. بِالرَّمَدْ
إِرْثُ القُرَى
طُولُ السُّرَى
دَمْعُ السَّواقِ المُغْرَقَةْ
كُحْلُ العُيُونِ المُطْفَأَةْ
بَقِيَّةُ المَوَّالِ تحتَ الخَيمةِ المُهْتَرِئَةْ
والقَلبُ ينبوعٌ ... حَجَرْ
يُعْطِى ويَفْنَى ألَقَا
يَفْنَى ويَبْقَى حُرَقَا
ياعَطَشَ البِحَارْ
ويادَمَ الأنهارْ

— • —

باريسُ ياناعِمَةَ اللَّيْلاتِ
مُرَّةً عَلى الغَرِيبْ
مَزارُ عاشِقٍ شَرُودْ
ظُلَّةُ شاعرٍ طَرِيدْ
ياطِيبهَا بالعَبَقِ الحَنُونْ
مسَلَّةٌ مُغْتَرِبةْ

قِيثَارَةٌ مُلْتَهِبَهْ
والغَيْمُ والشُّعاعُ ياحُلْمَ السَّجِينِ
يامِراحَ المُتْرَفِينْ
باريسُ يابهجَتَنا أكبادَنا المُنفَطِرَهْ
عُرْس مآتِمِ العُنَاهْ
دَوْحَة أحبابِ الحَياهْ
(عيونُ إِلزَا) وجُنُون الأُمْسِيات الشَّاعِرَهْ
مقاصِل الأَحِبَّةِ المُهَاجِرَهْ
باريسُ ياتَرْتِيلَ غانِيَهْ
ياعَاشِقَيْنِ افْتَرقَا
وثائِرَيْنِ اعْتَنقَا
سِحْر المدائِنِ المُعَطَّرَهْ
والشُّعَلِ المُنكَسِرَهْ
تُراكِ أَصْغَيْتِ إلى خُطْوَتِهْ
دَانيةً كَرِعْشَةِ النَّدَى عَلى كُئُوس دَالِيَهْ
وَانِيةً فوقَ رصيفِ (السِّين)
شَمْعَة عَلى الغُرُوبْ
خَفْقَتِهِ .. ابْتسامَتهْ
لِخَطْوِ طِفْلَتَيْنْ
لِهَمْسِ عُصْفُورَيْنْ

فى غَابةِ العُشَّاقِ كُلّ اثْنَيْنِ يَرْفُلانْ
فى ثَوْبِهِ الحَانِى
فى قَلْبِه العَانى
باريسُ كُنتُما خَمِيلَتَىْ غَرامْ
فأينَ أخفَيتِ لديكِ زهْرَتَهْ
نَجْمَتَهُ الخَضْراءْ
غُنْوَتَهُ الخافِتَةَ العَذْرَاءْ
جَبِينَهُ المُغَضَّنَ الأَغَـرّ ·
لَوْحَتَهُ بِلا إِطَارْ
وصَمْتَهُ الكَنارْ
لَيْلَتهُ الأَسْرارْ
وَحُلْمهُ النَّهار
والَّنظَرة انْبِهار
شَجىً .. مُنىً .. دُوَارْ
سَمِعْتِ رجْفَته ؟
أمْ أنَّكِ الوردةُ والسكِّينْ
الطَّاعِنُ الطَّعِينْ ؟
حَدِيقةُ الوَهْمِ أم الثُّوَّارْ ؟
(بُودلِيرُ) أمْ (إِيلْوَارْ) ؟
باريسُ ياعِشْقَ (أَراجُونَ)

ويافَجْرَ (البُخارِيّ) الجَمِيلْ
ياعُمْرَهُ القَصِيرَ ياجناحَهُ المُحَلِّقَ الأَسِيرْ
ياخَوْفَهُ انْكِسَارَهُ إصْرَارَهْ
ياضَعْفَهُ جَسَارَتَهْ
مَرارَتَهْ
إشْرَاقَتَهْ
القَمَرَ القَبْرَ السَّماء
الجَنَّة الأَفْعَى
(ناظِم) والمَنْفَى
مَأْوىً ولا مَأْوَى
باريسُ ياباريسُ ياأيَّامَهُ لَيْلاتِهِ الحِرَارْ
أَفْدِيكِ أَنْ أَرْجَعْتِهِ غَمامةً مسحُورةً
ثَوْباً على صَبِيَّةٍ نِيليَّةِ الخَدَّيْنْ
تَمْشِي علَى اسْتِحْياءْ
حَتَّى تُدَارِي شَبَقَ النَّهْدَيْنْ
مِنْ عَضَّةِ الذِّئابْ
وعَضَّةِ الأَمْعَاءْ
أَفْدِيكِ إنْ أَرْجَعْتِهِ أُغْنِيَةً
حتَّى يَحِينَ الموعِدُ القَرِيبْ
لِقاؤُنا الحَبِيبْ

— • —

طَوَّفْتَ ماطَوَّفْتَ هَلْ رَأَيْتْ

غَيْرَ انْكِسارِ الوَتَرِ الرَّخِيمْ ؟

غَيْرَ انْتِصارِ النَّاعِقِ الرَّجِيمْ ؟

غَيْرَ انْتِحارِ الشُّرَفاءْ ؟

ياشَهْقَة النَّايِ الحَزِينِ ساعَةَ الأُصِيلْ

يانَزْفَة الشَّادُوفِ تَحتَ الخَشَبِ المَسْنُونِ

تَحتَ الطِّين

ياشَجنَ الكافُورةِ الشَّامِخَةِ الجَرْداءِ

ياصَفْصَافةً خَضْراءْ

تُظِلُّنا إذا قَسا الهَجِيرْ

غَمامَةً لِابْن السَّبِيلِ ياصَفِيَّ الضُّعَفاءْ

يابُلْبلَ العُشِّ الكَسيرِ ياشهيداً

يانَجِيَّ الغُرَباءْ

— • —

سَخَوْتَ ماأبْقَيتْ

سَهِرْتَ ماأَصْبَحْتْ

إلَّا بقَايا مِنْ وَجِيب

مُرَقْرِقِ القَصِيدْ

ذِكْرَى مُقاوِمٍ عَنِيد

طَيْفِ حَبِيبْ

رَحلْتَ ماخَلَّيْتْ
رِيشَةَ عُصْفُورٍ مُبَلَّلِ الجَناح
ماتَ بالظَّما
كَفَّنَهُ النِّيلُ بموجَتَيْنِ حِينَ ضَنَّ
أَنْ يَسْقِيهِ قَطْرَتَيْنِ مِنْ رَحِيقِهِ المُبَاح
أَنْ يَمْسحَ عن فؤادِهِ النَّبيلِ
ماأَضْناهُ من جِراحِ مَجْدِنا وسُقْمِنا
عذابِ حُبِّنا ومَقْتِنا
غُرْبَتِنا فوقَ سَفِينِ السُّفهاءِ وانْتِمائِنا
إلى أَشْرِعَةِ البَحَّارَةِ العُراةِ
فوقَ الرِّيحِ ، كانتْ صَرْصَراً

والنَّوءُ كان عاتِياً
والخوفُ غالَ وَحْشَ (طِيبَة) الخَضِيبَ فى الزِّيناتِ
وانْتِمائِنا إلى قَوائِمِ المُناصِرَهْ
والقومُ جابُوا الصَّخْرَ بالوَادْ
مَثْقُوبَةً .. دُمىً .. رَمَادْ
مِنْ بَعْدِ حَرْبٍ نَخِرَهْ
مِنْ فَوْقِهَا مُدَّتْ عِظَامُ الفَجَرَهْ
أحذيةُ الفاشِيَّةِ المُنْدَحِرَهْ

— • —

ياأيُّها الفجرُ الكَنارُ الزَّاهِدُ المَنارُ
ياصُبْحاً تَجَلَّى فارْتَمى
نُسَّاكُ عَرْشِ الإفكِ وأنهَلَّ الغَمامُ المُشْتهَى
قامت قيامةُ العَذارى حاملات اللُّوتَسِ المضفُورِ
إيزيسيَّةَ العينَيْنِ من عِشْقِ
ولا دَمْعَ على (أُوزيرَ) لَمْ يَمُتْ
وأنتَ حَيٌّ بَيْننا

حتَّى تَرَى (حُوريسَ) مَجْلُواً على صَدْرِ الأُفُقْ
يُهْدِيكَ زادَ الرِّحلةِ المَوْعودةِ المُدَّخَرَهْ
كأسَ حَلِيبِ .. تَمْرَةً
لِوَجْنَتَيْنِ غَاضَتَا
يُهْدِيكَ غَابَتَيْ حَنان
لِقُبْلَتَيْنِ غابَتَا
أُغْنِيَتَيْ كرْوَانْ
لِمُقْلَتَيْنِ غامتَا
قَصيدةً لِرُوحِنا المُنْتَصِرَهْ
تَعودُ مَحْبُوراً مُكَلَّلَ الجَبِينِ
سَيِّدَ الشَّجَى
يُطِلُّ لِلْغَرْبِ المُضَوَّأ الرَّمادِ
لِلهلالِ .. لِلْهَرَمْ

لِلنِّيلِ .. ثُمَّ تَخْتَفِى وراءَ هالةِ السَّحَرْ
مُبتَسِماً .. مُوَدِّعاً
تنامُ فى حِضْنِ الشَّفَقْ
حتَّى تعودَ مَرَّةً أُخْرَى .. تَزُورُنا
إذا أنزل (حوريس) القمر

القاهرة يناير ١٩٨٦

تحتَ المَطَر

مَطرٌ ناعمٌ .. وأنا
طائرٌ واجِمٌ فى الأُفُقْ
خيمةٌ لِلدُّمَى
غيمةٌ مِنْ نِصال
المرايا شَفَقْ
والشَّظايا رِجَالْ

— • —

تحتَ قاعِ الغَسَقْ
بينَ أيدى التِّلالْ
مِخْلَبٌ أَمْ هِلَالْ ؟
وَتَرٌ أَمْ وَتَدْ ؟
كَبِدِى لا تُجيبْ
ويَدِى الأَسْئِلَهْ

— • —

قمرٌ فى حَنايا الجُفُون
دَمعةٌ للقَمرْ

وهَوًى مايَزالْ
مِنْجَلاً لِلسُّهاد
فَجْرُهُ من رمادْ
والغرُوبُ الرَّمِدْ

— • —

المآقِى رَحيلْ
والسَّواقى هَديلْ
لم تزَلْ فى سماءِ الرُّبَى نَجْمَتان
نَجمةٌ للعِناقْ
نَجمةٌ للفِراقْ
مَطرٌ نازحٌ يَنهَمِرْ
فَوْقَ وجهِ القمرْ

— • —

وطنٌ نازفٌ .. وأنا
عازِفٌ فى ليالى الهَرَمْ
حارِسٌ لِلصَّنَمْ
صلواتى رِياحْ
والأغانى ضَجَرْ
وطنٌ عاشقٌ مُستَباحْ
وأنا قَلْبُهُ

رَبُّهُ الرَّاحِمُ المُنْتَقِمْ

— • —

مِنْ عُيون الحبيبِ التى لاتَغِيبْ
والشِّفاهِ التى تَنْتَظِرْ
المآقى شَجَرْ
والسَّواقِى سَهَرْ
ياعُيونَ الحبيبِ التى لاتَرَى
حُبُّنا يُحْتَضَرْ
صَلواتى رِماحْ
والأغانى حَجَرْ

— • —

كُلَّما صَوَّحَتْ زهرةٌ
فى رَبيعِ الصِّبايا الحَزِينْ
سَقَطتْ جَمْرَةٌ مُرَّةٌ مِنْ فَمي
وتَعَالى الجُنُونْ
مَارداً مِنْ يَقِينْ
مِنْ كُهوف الأَنِينْ
ودِماء الحَنِين
يارِفاقَ الهَوى والهَوان
اللَّيالى جَحِيم

والأماني دَمِي

ــ • ــ

أيُّها النيلُ لا لَسْتَ لي
لَسْتُ لَكْ
قبلَ أنْ تَحْتَوِيني لَدَيْكْ
مَوْجَةً لاتَهُونْ
شاطِئاً لايَخُونْ
فارْتَحِلْ غُنْوَتَكْ
طِفْلَةً لاتُباع
طَلَلاً يَحْتَرِقْ
لاتَكُنْ رِحْلَتَكْ
بينَ نَبْعِ العُناهْ
ومَصَبِّ الغُوَاهْ
وانْتَفِضْ
وانْطَلِقْ

ــ • ــ

حانَ حِينُ الوَداعْ
أيُّها المارِقُون
فانْفِروا رَاكِعِينْ
تحتَ سَقْفِ المُجُونْ
تَحْتَ سَيْفِ الضَّنَى

ولَيالِى الهَرَمْ
وَطَنِى نازِفٌ .. وأناَ
رَبُّهُ الرَّاحِمُ المُنْتَقِمْ
مَطَرٌ رَاجِفٌ .. وأنا
واقفٌ تحتَ رُمْحِ القَمَرْ
وَطَناً فَوْقَ قاعِ القِمَمْ
عاشِقاً يَنْتَظِرْ

وهران ــ ٢٦ فبراير ١٩٨٦

مواويل النِّيل المُهَاجِر

حِينَ اقْتسمنا مِهْنَةَ المَنفَى
كانَ نَسِيمُ النِّيلِ فى حُلُوقِنا
مِلْحاً .. مِياهُ النيلِ فى العُرُوقْ
طَمْياً .. نُجومُ النِّيل جُرْحَا
كان الهواءُ والتُّرابُ صَخْرَةً
مِلْءَ الضُّلوعْ
كانا تراتيلَ الدَّراويشِ
عَجينَ الفُقَراءْ
وكانَ حُلْمُ الغُرَباءِ
مُضْغَةً مِن الجُنونِ
حِفْنَتَىْ شَفَقْ
جَمْرا وياسَمِينْ
مِلْءَ الأوانى المُسْرَجاتِ بِالَحَنِينِ
والعَرَقْ
كانَ نسيمُ اللَّيْلِ مَوَّالا لها
كانَ النَّشِيجْ

وَشْمَ حَرِيقٍ فى ذِراعَيْها
على الصَّدرِ الذى أرْضَعَنى
على العُنُقْ
سَيَّارَة الإسعافِ كانتْ
صَرَخَات الجارَةِ العَمْياءِ
والتَّنُّور والصِّنْدِر الجِدار
ذِكْرَى (الرِّفَاعيّ)* الذى ليسَ يَنام
وَكْراً وأفراخَ حَمام
وقُلَّةٌ .. وجُحْر أُفْعُوَانْ

— • —

كنتُ صغيراً
حينَ كان البحرُ والنيلُ كبيرينِ
ردائينِ لِمَنْ يَحْمِلُ أسرارَ العُبورْ
الموجُ يَعْلُونى
الموجُ عالَمِى القَرِير
وانْشَقَّ بيننا قَمَرْ
(اسْكَنْدَرِيةُ) الغمامةُ التِّي تَبَرَّجَتْ

---

* الرفاعى — الدرويش الذى يخرج الأفاعى من الشقوق بالتعاويذ والرق فى معتقد الطبقة المسحوقة من سكان الأحياء الشعبية ، نسبة إلى الإمام الرفاعى من كبار المتصوفة فى التاريخ العربى المصرى .

عُصْفُورةٌ زَرْقاء
قَلْبُكِ نَبْعٌ أُرْجُوانىٌّ .. وحُبِّى
شَفَةٌ صَمَّاءْ

— • —

كنتُ حوارىَّ السَّماءِ قَبْلَ أنْ
أحْمِلَ أكْفانى وصُلْبانى
صَفِىَّ الأنبياءْ
وحينما نَفَضْتُ أوْزارى
وأوْغَلَتْ بى رِحْلةُ الفِرارْ
فى رِحْلَة النارِ
ثَكِلْتُ تحتَ النِّيلِ أشعارى

— • —

مائَمْلِكِينَ من فُوادِى بَعْدَمَا
تَناثَرتْ حَبَّاتُهُ
بينَ طَواحينِ الفِراقْ
شِلْواً* على يَدِى
على قَبْرِ أبى
صدْرِ الرِّفاقْ
شِلْواً على لَحْدِى

* شِلْو (بكسر الشين وسكون اللام) : مفرد أشلاء

علَى ذِراعِها
أَيَّتُها اليَمامةُ المُهَاجِرَه
فَراشَة مَذْعُورَة على الشَّفَقْ
مَنْ أَيْنَ لى أُغنِيةٌ على الطَّرِيقْ
ولا عِناقَ لا وَداعَ لا طَرِيقْ
وبَيْننا شِلْوُ هِلالٍ يَحْتَرِقْ
أَيَّتُها الحَمامةُ النِّيلِيَّةُ المُطَوَّقَةْ
فوقَ سريرِ النَّخْلِ مابينَ (العَلالى)*
واللَّيالى الشَّبِقَهْ
تَنْتَظِرينَ عَوْدتى
أنَا الذى ما أَبْحرَتْ سَفِينَتى
حتَّى أَعُودْ ؟
حِينَ الْتَقَيْنا كنتُ فى القَاعِ
بلا سَفِينْ
رِيحاً ولا شِرَاعْ
يَجْرى على النِّيلِ
كَهْفاً ولا سِراجْ
يَحْدُو مَواوِيلى

---

* العلالى من العامية المصرية ، بمعنى الأعالى إشارة إلى موال :
يانخلتين فى العلالى .

وبَيْننا ذِكْرَى
فانْتَظِرِينى كَىْ أعُودْ

— ٠ —

يَحْتَشِدُ الآنَ جميعُ الأشْقِياءْ
فوقَ مِياهِ النّيل .. فوقَ الغُرَباءْ
والتّابِعُونَ القَابِعُونْ
تحتَ مِياهِ النّيل رَهْنَ الأوْلِياءْ
وهَا أنا وَحْدِى على الأعْرافِ
مَنْفِياً أُغَنّى
حُلْمَ بِلادِى والعَذابِ
ياحَمامَتي المُطَوَّقَهْ
رَهْنَكِ ياحُلْمَ التُّرابِ والسَّحاب
ياوَحِيدتى المُفارِقَهْ
وَحْدِىَ يايَمامَتِى المُهَاجِرَهْ
وَحْدَكِ ياقاهِرَتى
مَدِينَتِى المُنَوَّرَهْ
أمُوتُ رَهْنَ الشُهَداءِ يَامُطَهَّرَهْ
بَيْنَ قِبابِ (النّاصِرَهْ)*

---

* الناصرة بلدة فلسطينية فى الجليل موطن العذراء مريم والمسيح .

وأُغْنِياتِ الشُّعَراء السُّجَناء

— • —

لَسْتُ صَرِيعَ الحُبِّ لَكِنِّى
أنا الشَّفِيعْ
لَسْتُ شَفِيعَ البُغْضِ لَكِنِّى
أَنَا الصَّرِيعْ
فانْتَشِرُوا فى خُطْوَتى
ضَعُوا على لَحْدِى بَقايا عَالَمِى
ونَقِّروا تحتَ حِيَاضِ مُهْجَتِى
صَلُّوا عَلى دَمِى
فوقَ جَناحِ شَمْسِنا السَّوْدَاء
واغْتَسِلُوا فى مُقْلَتِى
بِلا دُمُوعْ

— • —

انْتَظِرُوا الذى يَجِيئُ بَعْدَنا
وَرْداً على نَجِيعْ
شَمْساً مِنَ الحَرِيقْ
وانْتَشِرُوا فى خُطْوَتِهْ
طِفْلاً ولا أَفْعَى
شَيْخاً ولا مَنْفَى

واسْتَقْبِلُوهُ بالرَّبيع
والنِّيلِ والهَدِيلِ والشُّمُوعْ
اِنْتَشِرُوا
وَانْتَصِرُوا

وهران — ٦ إبريل ١٩٨٤

سهرة فى بودابست

يَتهادَى هَمْسٌ صَدَّاح
والسَّاحَةُ قَوْسٌ حانٍ
وَهْجٌ مِمْرَاح
قَمْراءٌ .. شَمْسُ أصيلٍ
فَجْر
بلَّور نَغَمْ
صَلَوَاتُ « الدَّانُوبْ »
للأَغْصَانِ السَّكْرَى
لِلنَّافُورَات
لِلغَابَاتِ الوَسْنَى الحَرَّى
وفَرَاشَات الغَرْبِ النَّزِقَهْ
جِسْرٌ
آهَاتُ المُنْحَنيَاتِ العَارِيَةِ الشَّبِقَهْ
ومَطَرْ

— • —

تَتدانَى .. تَشْتَبكُ الأمواجُ اثْنَيْنِ اثْنَين

يَتوسَّدُ أحضانَ القَوْسِ القُزَحِيّ
طَيْرُ البَجَعِ الآتِي مِنْ خَلْفِ بِحارٍ سَبْع
والزَّهْرُ السَّارى مِنْ أعماقِ النَّهْر
ويُطارِدُنى الظِّل
وبُحَيْراتٌ مُرَّة
يَنْدَاحُ شَفَقْ
فَيُطَوِّقُنى وَرْدُ النِّيلِ الشَّاجِى
يَصْفُو الأُفُقْ
فَيُؤَرِّقُنى سُهْدُ الشَّادُوفْ
وحَفِيفُ الكافُورْ
ويَشِفُّ « الدُّونا »* .. تُنْكِرُنى
عَيْنانِ عَلى النِّيلِ السَّاجِى
ويُحَاصِرُنى
طَيْفُ الرُّوَّادِ المَحْرُومِينْ
ورَفِيفُ الصَّفْصافَاتِ عَلى التُّرَعِ السَّمْراء
وأزِيزُ التَّنُّور

— • —

الأَقْدامُ المَشْقُوقَةُ فَوْقَ الجَمْرْ
تَطَأُ القَلْبَ الصَّخْرْ

---

* الدونا : نهر الدانوب

والسَّهْرَةُ فى « بُودَابِسْت »
نَايٌ
صَرَخاتٌ
صَمْتٌ

بودابست ـــ ٤ أغسطس ١٩٨٦

تأملات على الدانوب

ليلٌ لايَسْرِي
نَجْمٌ مَغْلُولُ الفَجْرِ
والصُّلبانُ الجُدْرانُ الرَّطْبَهْ
تَتدانى الأَسْقُفْ
ويُطِلُّ الكَهْفْ
يُمْسِى « الدُّونا » أطيافَ شِراعْ
مِنْدِيلَ وَداع

— • —

تَتسَلَّلُ وَمْضَهْ
تَحْدُو رِيحُ الشَّرْقِ العَذْبهْ
أغْصانا غَضَّهْ
يَسْتَخْفِى الخَوْفْ
يَغْدو التاجُ الشوكىُّ سَرَابا
والكونُ سَحَرْ
يتدانى الفَجْرْ
ويُطلُّ النَّجْمْ

حُلْماً يَنْسابُ « الدُّونا »
أُنْشُودَةَ نَصْرْ
أَحْضَانَ لِقَاءٍ .. أَعْنابا
أُسْطُورَةَ مَجْدْ
ورَذَاذَ نَغَمْ

— ٠ —

الدِّفْءُ الحَانى رِعْشَةُ وَجْدْ
والغَيْمُ شَجَرْ
مَرْعَى فَرَسَيْنْ
أُرجُوحَةُ طِفْلَيْنْ
ظِلٌّ .. جَنَّاتٌ
ونَهَرْ
وعلى الجَبَل الأَخْضَرْ
تَنْداحُ بُحَيْرةُ عِطْرْ
مَعْزُوفَة ناي نِيلىٍّ .. طَيْر
الخُطْوَةُ تَحْتَضِنُ الخُطْوَهْ
تَتداوَلُها أَرْبابُ النَّشْوَهْ
مَثْنىً ورُباعَا
وذِراعٌ ضَمَّ ذِرَاعا
العَالَمُ يُصْغِى لِلْحُبْ

والهَمْسُ يَضِجُّ صَخَبْ

— • —

ماأنْدَى كَرْمَ اللَّيْلَهْ
ماأَبْهَى !
لاتَرْفَعْ شُعْلَهْ
أَسْرِجْ مِصْبَاحَ القَلْبْ
فالأُفْقُ شَفَقْ
والشَّطُّ الأَزْرَقْ
رَاياتٌ .. وَقْعُ نَواقِيسٍ
رنّاتٌ .. أبْراجُ لَهَبْ

— • —

ياقَلْباً كَلَّلَهُ المَوْجُ الأَبْيَضْ
لاتَعْشَقْ
لاتُبْغِضْ
فالكَوْنُ سَدِيمْ
والعَالَمُ ذِكْرَى تَنْبِضْ
بالفِرْدَوْسِ المَوْهُومْ
صَدْرٌ يتهدَّجْ
رُؤْيا تَتَوَهَّجْ
وغَماماتٌ .. وَوَطَنْ

— • —

الصُّبْحُ على « بُودَابِسْتْ »
وَجَنَاتُ الوَرْدِ ، الأَطْفَال ، الشُّرُفات
بَوَّاباتُ الأَنْفاق السِّحْرِيَّه
وهَدِيرُ الشَّلالات
تحتَ الشَّمْسِ الحَرَّى
بالأَيْدِى المُشْرَعَةِ الصَّلْبَهْ
سِرُّ القَطَراتِ الفِضِّيَّهْ
فى قَاعِ المَنْجَمْ
تَجْلُو ظُلُماتِ الطِّلَّسْمْ
والحَبَّاتُ الرَّقْراقَةُ فى الحَقْلِ الذَّهَبِىّ
تَتحَدَّرُ فوقَ غُبارِ جَبِينٍ نُورَانِىّ
كَنْز البُسَطَاء
إِرْثُ الشُّرَفَاء
رِيحُ الشُّهَداءِ ومَجْدُ الإِنْسانِ الأَعْلَى

— • —

يَتهادَى وَهْجُ النافوراتِ على الدَّرَجِ الليلىّ
يَسْتَعْلِى تاريخُ البشرِيَّهْ
فتُضِىءُ عُيُونُ طُيورٍ زُغْب
فى أَحْضانِ الجَدَّات
وتَذُوبُ غُضُون

وتَشِفُّ غُصُون
تَتلاقَى تَنْتَصِبُ الرَّايات
والقَامَاتُ الهَرِمَهْ
تَحْنُو .. تَحْمِى القَلْعَهْ
والسِّحْرُ يَلُفُّ الكَوْنْ
تَتَضَوَّعُ أَنْفاسُ الغَابَات
وتُوَلِّى أشْباحُ الأَيَّامِ الجَهْمَهْ
إلا تَذْكار مُناضِلْ
فنَّانٍ .. ثائِرْ
شَاعِرْ
يَلْقَاهُ كُلَّ مَساءٍ كُلَّ صَبَاح
مَوْجُ الدَّانُوبِ المِمْرَاح
تَرْعَاهُ عُيُونُ الشَّعْبْ
وتُصَافِحُهُ بِالحُبّ
أَيْدِى الأَجْيَال
وظِلالُ الحُورِ على نُصُبِ الأَبْطالْ

— • —

وعلَى أَهْدابِ الدَّانُوبِ انْطَفَأَتْ شَمْعَهْ
رَجَفَتْ ساقَانِ .. ذِرَاعَان
فى ثَوْبٍ حَانٍ عَانٍ

غَجَرِىّ
جَفْنٌ يَتَهَرَّأُ
لِلأُمِّ الحافِيَةِ القَدَمَيْنْ
ويَدٌ مُدَّتْ لِلسَّارِينْ
دَمْعٌ يَرْقَأُ
لِمَسِيحٍ طِفْلٍ لَمْ يُصْلَبْ بَعْدْ
تَابُوتٌ ضَمَّ غَرِيقَيْنْ
شَبَحَيْنِ غَرِيبَيْنْ
تَحْتَ المطَرِ العَارِى الغَيْمِ الوَرْدِىّ
ونِثار المَوْجِ العِطْرِىّ الوَثَنِىّ
لِلأَجساد الرَّيَّا الظَّمْأى
فى « عُلْبَةِ لَيْل »
رَامْبُو .. سَامْبَا
قُرْبان المَعْبُودِ الوَرَقِىّ
وسُعَار العِشْقْ
تَذْكارُ الغَرْبِ إلى الشَّرْقْ

— • —

اللَّيلُ السَّاجى فى بُودَ ابِسْتْ
صَلَوَاتٌ لِلزِّينَات
أَيْقُونَاتٌ .. أَنْداء نَغَمْ

مَرْحَى ياسُمَّار الأَسْحَارْ
السَّاحَةُ أَنْفَاسٌ وَسَنَى
مَلَكٌ يَحْلُمْ
أَقْمارٌ خضْراءٌ شَلَّالُ سَنَا

— • —

لَكِنَّ الدَّانُوبَ الأَزْرَقْ
يَغْزُو كَالزِّلْزَالِ القَلْبْ
يَتشَقَّقُ أَحْجارًا صَمَّاءْ
يَتَشَكَّلُ مِطْرَقَةْ
يَغْدُو صَوْتًا يَجْتاحُ الصَّمْتَا
يُحْيِي المَوْتَى :
هَلْ تَسْتَرْخِى الأَعْنَابُ الغَنَّاءْ
فى بُسْتَانِ الثَّوْرَةْ :
تَتَهَدَّلْ ؟
تَتَرهَّلْ ؟
هَلْ تَلِدُ الأَرضُ الحَوَّاءُ العُقْمْ
وتُبَاعُ الحُرَّةْ
أَو تَأْكُلُ مِنْ ثَدْيَيْها ؟
هَلْ يَرْتَدُّ « الكُورَال »
عَزْفا يَتسلَّلُ مُنْفَرِداً

أو لَحْنا مُخْتَلَساً بينَ اثْنينْ ؟
ما أقْسَى اللَّيْلَه
إنْ يَعْلُ فَحِيحُ شبَقْ
يَسْقُطْ شرْيانُ عَرَقْ
إنْ يَنْتَثِرِ الجَمْعُ الأوْحَدْ

— • —

ويُراوِدُنى مَوَّالْ :
مَسْكُونٌ بِالنَّجْمِ السَّارِى
والفَجْرِ النَّائى
مَضْفُورٌ بِالتَّاجِ الشَّوْكْ
دَامٍ بِالعِشْقْ
نَاى نِيلِىّ
يَسْتَخْفِى فيه الحُبُّ
ويَنْفَجِرُ القَلْبْ

بودابست ــ أغسطس ١٩٨٦

للذين أتوا بعدنا .. أغني

لِلْقِطاراتِ إذْ نَذَرتْ حَمْلَها لِلْمَنافى
أَوْدَعتْ جوفَها سَلَّةَ الذِّكْرَيات
شَجراً عَازِفاً يَحْتَرِقْ
وانْحَنى المُفْتَرَقْ
والسماءُ الدُّخَانُ العُيونُ الشَّفقْ
لِتَضمَّ إليها الشَّتاتْ
وتُناجِى الوَطَنْ
للشِّفاهِ الَّتِى راوَدَتْنى على قُبْلَةٍ فى الوَدَاعْ
لابتسِاماتِها خِلالَ الدُّمُوعْ
للأغانى الحِرارِ الحَزِينهْ
للأمانى التى قامَرتْ بانْتِظار الرَّبِيعْ
للسُّهُولِ السَّجِينهْ
للهديرِ المُدَوِّى وراءَ البحارِ التى سَئِمَتْ عُرْيَها
انْزِفى يارِياحْ
ياجِراحَ المطَرْ
لِلسَّحابِ المُضيِء شَظايا رُجُوماً على الأوْدِيهْ

لِلطُّيور التى هاجرَتْ عُشَّها فى لَيالى المَحاق
يَتهاوَى الجناحُ وتَحْترِقُ الضِفَّةُ المُشْتَهاهْ
ويَحُطُّ على الذِّكرياتِ الحَمامْ
لِلسَّواقِى التى مابَكَتْ يومَ « قَطْرِ النَّدَى »*
من نَوَى** واكْتَوَتْ برحيلِ الخَليج
للهَديلِ المُباح الغَرِيب
للرَّصِيفِ الذى ضاجعَ الشمسَ أَلْفَ نهارٍ
وضَنَّ البُغاةُ على ابْنِ السَّبيلِ الطَّرِيدِ
بإشعاعةٍ واحدهْ
بالحَنانِ الذى يُدْفِئُ القلبَ فى ليلةٍ باردهْ
لِلْعُيونِ التى اغْرَوْرَقَتْ رحمةً بالصغير الكَفِيف
والدُّموعِ التى أغْرقتْ كَتِفَىَّ وقَلْبى الغَرِير
حينَ حانَ اللِّقاءُ الأخيرْ

— • —

لِلْعُيونِ الَّتى قَاتَلتْ لِيَمُوت الظَّلامُ
ويَسْقَطَ إفْكُ السَّرابِ
وذِئْبُ المَوانى الغَرِيقَهْ
لِلْمُغَنِّينَ تَحتَ الحِصارِ بمَجْدِ الحَقِيقهْ

---

* قطر الندى : ابنة خمارويه والى مصر التى زفت إلى الخليفة العباسى ، وأقيمت محطات لقافلة العرس على طول الطريق من القاهرة إلى بغداد

** النوى : الفراق .

لِلْقُرَى لِلنُّجوعِ العتيقهْ
لِلْحَوارى النُّعوشِ التى نَفَثَتْ سُمَّها
فَتَكَتَ بالأفاعِى
غَداةَ انتظارِ الذى يَنْصِبُ المحْرَقَهْ
ويُضيُء الكُهوفْ
يَوْمَ أغْرَى المُهَرِّجَ كُهَّانُهُ بِسَلامِ القُبُورْ
فاستَوَى فَوقَ رُمْحِ العُبُور
ثم أدَّى صَلاةَ الفِدَا لِوَلِّى الجَحِيمِ
مُغْمِداً فى الدَّمِ المُسْتَجِيرِ صُرَاخَ الضَّحِيَّه
وفُروضَ المُجُون

— • —

لِلشُّموعِ الَّتِى خَمَدَتْ فى بَرِيقِ الصِّبا
لِلصَّبَايا اللَّواتى صُلِبْنَ علَى شهَواتِ الطُّغَاهْ
لِلْيَتامَى
لِلأرامِلْ
لِلزُّهُورِ التى انْفجَرتْ تحتَ عِبْءِ الخَرِيف
والَّتِى قاوَمَتْ بالرَّداءِ الأخِيرْ
لِعَرُوسِ الجَنُوبِ التى ازَّيَّنَتْ بِخِضابِ الكَفَنْ
هَتفَتْ : ياعَلِىّ
ثم غابتْ وراءَ الحُدودِ لِيَصْحُو العَبِيد
للذَّبِيحِ الشَّهِيدِ الذى احْتَضَنَتْهُ امْرَأهْ

صَرختْ : ياعَرَبْ
فاسْتَجابَتْ فُلولُ الرُّعاةِ بِمَنْشُورِ شَجْبْ
والوُلاةُ الثَّكالَى الحُبَالَى بِمَرْسُومِ قَمْعْ
وتَراءَى نَجيعُ المُخَيّمِ قَوْسَ قُزَحْ
بَعْدَهُ يَتجَلَّى عَلَيْنا إِلَهُ المَطَرْ
مِعْزَفاً فى الطَّلَلْ
ضَحِكاً لِلْبُكَا
تِلْكَ بُشْرَى الخَلَاصْ
فَلْيَكُنْ حَسْبُنا مِنْ قَصاصْ
أنْ يَكُفَّ الرَّصاصْ
كَىْ تَعُودَ اللَّيالِى المِلاحُ وَيَحيْاَ الوَطَنِ !!

— • —

لِصُدورِ العُرَاةِ الأُلَى آمَنُوا
بالدَّمِ المُسْتَحَبْ
لُغَةً للحِوارِ الأَخِيرْ
لامْتِلاكِ المَصِير
لِأَغانى رِفاقِ النِّضالِ على الطُّرُقِ الرَّاجِفَه
لِهَديرِ الجُموعِ التى زحفَتْ بِسُقُوطِ الشَّقَاءْ
والسُّجونِ التى قوَّضَتَهْا الأَيادِى المَعَاوِلْ
لِلدُّموعِ الَّتِى أشْرقَتْ تحتَ ضَوْءِ المشَاعِلْ
لانْبثاقِ الحَياهْ

ـ • ـ

للضُّلوع الدُّرُوع المَتارِيسِ لِلأُكْمِنَهْ
فى التَّوابِيتِ فى البِرَكِ الآسِنَهْ
تُوءَدُ الأَمْكِنَهْ
تُولَدُ الأَزْمِنَهْ
ويكونُ الذى لم يكنْ
والَّذِى هُوَ آتْ
الجُحورُ الحَياة
والقُصورُ التى لفظَتْ عَارَها
جِيَفٌ مُنْتِنَهْ
الدَّمُ السَّارِبُ المُنْهَمِرْ
بِرْكَةٌ لِلْوَثَنْ
وَالضَّحَايا الكَفَنْ

ـ • ـ

لِلأُكُفِّ الجِبَاهِ التى أخذَتْ شكلَهَا
مِنْ شُقوقِ الثَّرَى المُنْتَهَبْ
وحَفيفِ القَصَبْ
لِلَّذين ارْتَضَوْا بِكُئُوسِ العَرَقْ
سَهْرَةً مِنْ رَغِيفٍ ومِلْحْ

لَيلةٌ لِلْفَرَحْ
لِانْخضِرارِ التَعَبْ
المَوَاوِيلُ عِشْقْ
والأَغَانى ضَنَىً
مِنْ أَزيزِ الحَطَبْ
واحْتِضَارِ الغَضَبْ

— • —

لِلصَّبِيِّ بِلا قَدَمَيْنِ يُرَتِّلُ فى سُلَّمِ الحَافِلَهْ
فى الفضَاءِ الغَرِيقِ علَى المُدُنِ الآفِلَهْ
سُورَة مِنْ كِتَابْ
لِلْهَوى .. لِلْهُدَى .. لِلْهَوانْ
والمُلُوكُ القِيَانْ
رَافِعات البُطُونِ الزُّنُودْ
فى ضَمانِ الجُنُودْ
صَادِحَات الأُذَانِ الطَّرُوبْ
تحتَ عَزْفِ البُنودِ وقَصْفِ الخُطَبْ
فى ضَمانِ الإذاعاتِ والمُخْبِرِينَ وقَيْحِ الكُتُبْ
رَكْعَةٌ .. سَجْدتَانْ
فَوقَ هامِ القَطِيعِ الأَجِيرْ
النَّعيمُ الرِّضَا

والجَحِيمُ الأمَانْ
آيةٌ .. آيَتَانْ
رَهْبَةُ الصَّوْلَجانْ
وحِصَار المطَارْ

ـــ • ـــ

لِلّيالى السَّجيناتِ تَحتَ ظِلالِ « المُقطَّمْ »
فى الخَواءِ الرَّجِيمِ المُعَظَّمْ
والشَّتَاتِ المُنَظَّمْ
لِلّتى استَقْبَلتْ فَجْرهَا
فَوْقَ قَبْرٍ قَدِيمْ
الزِّفافُ صُراخُ نُجُومٍ وَليدَهْ
حَشْرَجَاتُ الزُّفاتِ المُبَعْثَرْ
وحُطَامُ الشَّوَاهِدْ
فى سِباقِ الصِّغارِ المُعَرْبِدْ
والهَدايا صَرِيرُ السّكُونِ العَقِيم
والرِّياح الشَّرِيدَهْ

ـــ • ـــ

لِلّذِينَ أتَوْا بَعْدَنَا
والّذِينَ سَيَأْتُونَ يَوْماً ..
أُغَنِّى

بودابست ـــ ١٢ أغسطس ١٩٨٦

المدن النائية

هَاهُوَ البَحْرُ .. طَهْرانُ وَرْدَتُهُ
والمَحَارُ الصُّخُورُ المُوَيْجَاتُ
فوقَ الغَمائمِ .. نَحْنُ الطُّيُور الغَرِيبةُ
نَرْتَدُّ لِلرَّمْلِ ؟ أَمْ نَتَملَّى
عذابَ البِدَاياتِ
أَمْ نَرْكُزُ الرُّمْحَ حتَّى القَرار
وبَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ جِسْرٌ تَهاوَى
وطَهْرَانُ تَقْرُبُ .. تَنْشِقُ عِطْرَ الجِرَاح
وتَرْوِى بسَاتِينهَا تَحْتَ غَيْمِ الضَّحايا
... الدُّخانُ يُحاصِرُنا والدُّمَى لاتَمُوتُ
وطَهْرانُ تَدْنُو
ونَهْبِطُ ... نَهْبِطُ ... نَصْعَدُ
إنَّ المَطاراتِ ضاقتْ
وتَرْمُقُنى تحتَ لَوْحِ السَّوادِ
العيونُ المُضِيفاتُ
عَيناىَ فى الأحْرُفِ القاتِلات :

« مَن الرَّاحلونَ لِتَلِّ أَبيب ؟ »
تُعاوِدُنى الغُصَّةُ المُسْتَبِدَّةُ
والصَّوتُ يَجْلِدُ صَدْرِى :
مَن الرَّاحِلُونَ إلى القَاهِرهْ ؟
مَن القادِمُونَ ؟
... المَحارُ الصُّخورُ المُوَيْجَاتُ نَحْنُ
ولكنَّ طَهْرانَ أقربُ
هذا السَّوادُ المضىء ألا أيُّها القَلْبُ
أيَّتُها الغُصَّةُ المُستَبِدةُ
كُلُّ المنَافِى تَهُونُ
وكُلُّ الطُّيُورِ الغَرِيبَةِ
تَهْوِى إلَيْها العُيُونُ المُضِيئَةُ
تَهْوِى إلَيْنا
... المَنَافِى تهاوى ... تهاوَى
لِتَرْتَفِعَ المُدُنُ النَّائِيَهْ

مطار جنيف — يونية ١٩٨٠

فى الطريق من الجزائر إلى إيران للمشاركة فى المؤتمر الدولى بطهران المنعقد لمناصرة الثورة الإيرانية بمناسبة احتجاز عملاء المخابرات الأمريكية ، وذلك قبل اندلاع الحرب المشئومة بين العراق وإيران .

عـن الشاعـر

لم يكن ارتباط الشاعر حسن فتح الباب ببورسعيد وبمعانيها الإنسانية الجميلة ارتباطا عابرا أو مفاجئا ، وإنما هو ارتباط عميق الجذور فى نفسه ، يقوم على وعى موضوعى وإدراك مستنير ناضج . كانت معركة بورسعيد ومعانيها النضالية أحداثا واقعية تزيد إيمانه بمبادئه الإجتماعية والفلسفية التى يعبر عنها فى إخلاص وبساطة . وهو يستمد قوته وحيويته من تجارب الشعب .

(محمود أمين العالم)

فى مقدمته لديوان (من وحى بورسعيد/فبراير ١٩٥٧)

يعتمد الشاعر على التصوير الفنى غير المباشر ، وعلى إبراز النقيض الصاعد المناهض لنقيضه الرجعى ، وعلى شد أزره حتى ينتصر . ومشكلة بورسعيد نموذجية ، فهى تمثل الصراع المحتدم فى كل مكان بين القوى الاستغلالية والقوى التحررية . وحينما ينفعل القارىء عند قراءته شعر هذا الديوان ويصمم على مضاعفة العزم فى مقاومة الاستعمار سيعرف مدى نجاح الشاعر حسن فتح الباب فى أداء رسالته الفنية السامية .

(محمد مفيد الشوباشى)

فى مقدمة أخرى للديوان

استرعت نظرى بين كل ماسمعت من قصائد الشعراء الذين يكتبون الشعر الحر قصيدة حسن فتح الباب (دمعة على البحيرة) ، إذ تتحقق فيها مقومات هذا الشعر ولا سيما العنصر الدرامى ، وتمتاز بالقدرة على التعبير بالأسطورة عن الواقع .

(الدكتور محمد مندور)

فى ندوة بالجمعية الأدبية المصرية فى أوائل الستينات

خلال التكوينات الشعرية التى يضمها ديوان حسن فتح الباب نجد أنفسنا أمام نموذج حقيقى وأصيل للشعر الجديد فى شكله المتميز بالهمس والبساطة . فالبناء عنده دائما بناء درامى فيه تفاعل وحركة ونبض ، يأخذ طابع الملحمة العاصفة ، أو القصة القصيرة الوادعة ، ويزخر بالحوار وبالترديدات وتقطيع المشاهد أو المزج الانتقالى فيما بينها .. ويظهر فى ملحمته طابع العصر واضحا كما يرتبط بالطابع الأسطورى العصرى وموقفه كشاعر ملتزم من القضايا الإنسانية .

(أحمد لطفى و محمد البخارى)
فى مقدمة ديوان (فارس الأمل) ١٩٦٥

لقد عاد حسن فتح الباب من أمريكا فزعا مما رأى ، وخائفا من السلطة بالمفهوم الذى لمسه هناك . فكان طبيعيا وهو يترجم رحلته الى أبيات من الشعر أن يغنى بلهجة الخائفين ، وأن يتعاطف مع الغرباء والهاربين .

إن الفزع من سرطان السلطة كما عاد به حسن فتح الباب لايمكن أن يكون فزع ضابط ، وإنما هو فزع شاعر حقيقى بكل معنى الكلمة ، فزع رجل ينبض الشعر فى عظامه ولا يحاول على الإطلاق أن يفتعله واللهجة التى يغنى بها لهجة رجل مطارد لارجل يطارد الآخرين . ولأنه شاعر فإن الإيمان بالإنسان يجد طريقا بين أبياته من خلال الضباب والأسى .. هذا الشاعر العذب الحزين .

(الصحفى الروائى صلاح حافظ)
عن ديوان (مدينة الدخان والدمى) ١٩٦٧

يهزنى شعر حسن فتح الباب بطابعه الفنى والإنسانى . إنه شاعر عالمى بكلّ المقاييس .

(الدكتور رشاد رشدى)
عن ديوان (حبنا أقوى من الموت) ١٩٧٦



صدرت للشاعر حسن فتح الباب
الدواوين الآتية

١ - من وحى بورسعيد دار المنتدى الثقافى بالقاهرة	١٩٥٧
٢ - فارس الأمل مكتبة الأنجلو - القاهرة	١٩٦٥
٣ - مدينة الدخان والدمى المؤسسة المصرية للتأليف والنشر بالقاهرة	١٩٦٧
٤ - عيون منار دار النجاح بيروت	١٩٧١
٥ - حبنا أقوى من الموت الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة	١٩٧٥
٦ - أمواجا ينتشرون سلسلة ديوان الشعر العربى الحديث ، وزارة الإعلام - بغداد	١٩٧٧
٧ - معزوفات الحارس السجين منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق	١٩٨٠
٨ - رؤيا إلى فلسطين منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق	١٩٨٠
٩ - وردة كنت فى النيل خبأتها الدار التونسية للنشر بتونس	١٩٨٦

رقم الايداع : / ٨٧ - ٤٢٤ ٨

مطبعة العروبة ٢٤٦٤٢٥٥